

تلخيص محاضرات
تاريخ الفكر الغربي الحديث

الشيخ أحمد السيد.



الفهرس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المحاضرة الأولى: عصر النهضة ١

سبب تقديم الحديث عن التاريخ الفِكريِّ الغربيِّ قبل التاريخ الفِكريِّ العربيِّ؛ **أنَّ تاريخ الفِكر الغربيِّ الحديث أسبق زمنًا من الفِكر العربيِّ الإسلاميِّ الحديث**، وأنَّ العلاقة بينهما علاقة مُؤثِّرٍ / مُتأثِّرٍ: **فالفِكر الغربيُّ الحديث مُؤثِّرٌ، والفِكر العربيُّ الحديث مُتأثِّرٌ.**

أهمِّيَّة الحديث عن التاريخ الغربيِّ:

١) خطورة وأهمِّيَّة باب الفِكرة، وأنَّ الأفكار هي المُحرِّكات للواقع.

٢) إدراك معنى التراكُم في السِّياق التاريخيِّ –مُتعلِّقٌ بالزمن–.

٣) إدراك أهمِّيَّة تكامُل المُؤثِّرات في إحداث التغييرات –مُتعلِّقٌ بالمُؤثِّرات–.

٤) ضرورة الوعي باللحظة، وربط الجُزئيَّات واستخراج الكُلِّيَّات، ومُحاولات توقُّع مآلات هذه الكُلِّيَّات.

٥) قياس كثيرٍ من التغيُّرات التي حصلت في الفِكر الغربيِّ على التغيُّرات التي حصلت في الفِكر العربيِّ.

٦) إدراك مدى تأثيرها على الفِكر العربيِّ.

٧) من خلال قراءة الفِكر الغربيِّ، ستُدرِك اختلافات العقول وقصورها عن أنْ تكون هي المِعيار الَّذي يُمكِن أنْ يُنقِذ البشريَّة.

٨) مَنْ يتأمَّل في الفِكر الغربيِّ، وأفكاره، ومُفكِّريه، ومآلاته، سيُدرِك ضعف الإنسان وانحطاطه حال استغنائه عن الله سبحانه.

٩) عُمق المُكوّن الدينيّ وصعوبة تفكيكه.

١٠) معنى الانفصال (بين الدِّين والسياسة والأخلاق) أدَّى إلى وجود فصام بين إمكانيَّة التميُّز ومع إلغاء المعايير الأخلاقيَّة.

ملامح مُجمَلة عن تاريخ الفكر الغربيّ:

المرحلة الأولى: العصور الوسطى.

– وقتها: تقريبًا من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر.

عشرة قرون كانت تحكمها في أوربا سمةٌ مُجمع عليها وهي: **سيطرة الكنيسة على المُجتمَعات الغربيَّة،** عصور التديُّن الكنسيّ، عصور التديُّن بالديانة النصرانيَّة. هذه السِّمة كانت داخلةً في كلّ تفاصيل الحياة، **والكنيسة كانت تتبنَّى دينًا مُحرَّفًا، وأيضًا نظريَّاتٍ فلسفيَّةٍ** أدخلتها في عباءة الكنيسة، وأصبح الطعن في هذه النظريَّات كالطعن في الكتاب والكنيسة.

– في العصور الوسطى كانت قضيَّة: الدين، والحقيقة، والمعنى، ومركزيَّة الإله (واضحةً تمامًا)، ويُنظَر لها من نظر الكنيسة فقط، لا عن طريق قراءةٍ مُجرَّدةٍ ولا عن طريق تأمُّلٍ ولا عن تفكُّرٍ، وإنَّما عن طريق **الاحتكار التعليميّ المُتعلّق بالمفاهيم من جِهة الكنيسة.**

المرحلة الثانية: عصر النهضة.

- وقتها: **تقريبًا القرن الخامس عشر والسادس عشر.**

لمْ يكُن في هذه المرحلة نظريّاتٌ فِكريّةٌ فلسفيّةٌ كُبرى أسَّست المُجتمَع الغربيّ، -باستثناء بعض الشخصيّات المحدودة- **وإنَّما حصل بها إحياءٌ للثقافة اليونانيَّة السابقة.**

المرحلة الثالثة: عصر المنهج: القرن السابع عشر.

في هذه المرحلة **بدأت أوروبا بصناعة نفسها، وجاءت بنظريَّاتٍ جديدةٍ**، وسُمِّيَ هذا العصر بـ: **عصر المنهج.**

المرحلة الرابعة: عصر التنوير: القرن الثامن عشر.

حصل في هذه المرحلة **تطبيق للمناهج التي أُتِيَ بها في القرن السابع عشر**، فطُبقت وأُضيف عليها، وسُمي هذا العصر بـ: **عصر التنوير**، وختمت التطبيقات **بالثورة الفرنسية** .

- **سِمات عصر النهضة:**

١) ظهور النزعة الإنسانيَّة، وإحياء العلوم اليونانيَّة والإغريقيَّة القديمة.

٢) حركة الإصلاح الدينيّ.

٣) بداية الثورة العلميَّة التجريبيَّة .

٤) المكتشَفات الجغرافيَّة الجديدة وما تبعها من عوامل اقتصاديَّة.

- **أبرز الآثار التي ترتبت على عصر النهضة:**

١) عمل جسر ما بين العصور الوسطى والعصور الحديثة.

٢) انزياح المركزيَّة شَيئًا فشَيئًا، من **مركزيَّة الإله إلى مركزيَّة الإنسان.**

المحاضرة الثانية: عصر النهضة ٢

السمة الثالثة:

نشأة العلم الحديث، الثورة العلمية التجريبية.

- **بدايتها:**

كانت في **نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر**.

- **مؤسسها:**

اشتهر في تاريخ العلوم أن مؤسس العلم الحديث **هو غاليليو**، وتجدر الاشارة الى أن الثورة العلمية التجريبية ليست موضوعا علميًا تجريبيًا فقط، وليست العلوم والمكتشفات المادية هي ما يستحق الدراسة والنظر إلا من ناحية معرفة ما توصلوا إليه؟ وكيف؟ فقط، وإنما تجاوزت آثارها مختلف الآفاق المعرفية البشرية.

الآثار التي نشأت عن الثورة العلمية التجريبية:

ومن الضروري التنبؤ للآثار المعرفية والدينية والفلسفية التي نشأت عن الثورة العلمية التجريبية، وعدم الوقوف عند دراستها كتاريخ على انها مجرد مكتشفاتٍ، وبدون المعنى لن تدرس بشكل جيدٍ.

ومن هذه الآثار:

الآثار المعرفية والدينية والفلسفية التي نشأت عن الثورة العلمية التجريبية:

١) أهم وأخطر أثرٍ: حصر المعرفة البشرية فيه، وقد كان في بداية الأمر مجرد افتراضاتٍ ومكتشفاتٍ.

٢) أصبح السائد في البيئات العلمية والدراسية والنطاقات الأكاديمية الطبيعية؛ هو عدم الثقة في أكثر العلوم البشرية كالعلوم العقلية والإنسانية إذا لم تمر ببوابة التجربة، وصار العلم حكرا على ما هو تجريبيٌ.

وهذا ما لم يكن موجودًا في القرون: الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر، ولم تكن هناك معاداةٌ بين العلم والدين؛ لذلك صارت هناك علمٌ وفلسفة علمٍ وآثار معرفيةٍ ضخمةٍ .

٣) تغيير نظرة الإنسان للكون؛

١. فنظر إليه على أنه جهاز آليٌ منتظمٌ –ميكانيكي– فلا داعي لإدخال المعاني الايمانية والغيبية فيه.

٢. ثم صار يُنظر إليه على أنه فضاءٌ لا مُتَنَاهٍ وغير مفهومٍ، فضاعت الحقيقة عند الانسان.

في القرن الخامس عشر والسادس عشر **لم يكن هناك معاداةٌ بين العلوم الدينية والعقلية**؛ فقد كان أعلاهم علمًا مَن أكثرهم تديُّنًا، وهذا **يوضح خطورة التراكم الزمني مع ما يصاحبه من مؤثراتٍ: كزعزعة الثوابت، وضعف التدين، وخيبة الأمل في تغيير الأفكار**، فقد كان نيوتن وديكارت متدينين.

مصطلح الثورة العلمية التجريبية.

– في عصر الأنوار (القرن الثامن عشر) بدأ ظهور لفظ (الثورة العلمية التجريبية)، ثم تضاءل استعماله إلى القرن العشرين، وفي ثلاثينات القرن العشرين أعاد مجموعةٌ من الباحثين إحياء المصطلح، وأصبح متداولًا في تاريخ العلم وفلسفة العلوم .

– الفرق بين الثورة العلمية والثورات في العلم؛ أن الأولى: تتكلم عن نطاقٍ زمنيٍ واحدٍ أتى وانتهى في القرن السابع عشر، مع مقدماتٍ في القرن السادس عشر، والثانية: هي كل تجديدٍ في دائرة العلوم الطبيعية: مثل ثورة الكوانتم.

المؤثرات والأسباب التي أدت إلى نشأة الثورة العلمية:

١) **ترجمة العلوم العربية والإسلامية** من المؤثرات التي جعلت أوروبا تهتم بهذه العلوم من ناحية المنهج، ومن ناحية المكتشفات .

التأثير الذي أدى إلى العلم التجريبي ليس **بالضرورة أن يكون تجريبيًا، فقد يتعلق بطريقة التفكير**، ومن **المراجع لدراسة حالات التأثير:**

- كتاب (فجر العلم الحديث)، تكلم فيه عن العلوم الإسلامية والصينية؛ وهو كتابٌ يبين تأثير العرب في توجه الغرب إلى العلم دون الحكم بالعاطفة.

- كتاب: (دراسةٌ في التاريخ والأدب العربيين) لنجيب البهبيتي، فيه يبين تأثر ديكارت بالغزالي.

- حلقات على اليوتيوب بعنوان (محاضراتٌ في علم الفلك) للبروفسور محمد باسل الطائي -أحد أكبر الفيزيائيين العرب المشهورين هذه الأيام-، يبين فيه تأثر بعض الفلاسفة الغربيين بالمسلمين، وتعارض المكتشفات العلمية مع التصورات الدينية، ومن ذلك: تصور تحريك الملائكة للكواكب، واكتشاف أنها تتحرك بقوانين فيزيائية، وكذلك أيضا: اكتشاف دوران الكواكب حول كوكبٍ آخر غير الأرض، وبالتالي فقدان التصور الكنسي لمركزية الأرض.

- ومن الكتب التقليدية: كتاب (شمس العرب) وكتاب (حضارات العرب).

٢) **الجذور العلمية أو الفكرية التي كانت في العصور الوسطى**: حيث إن جهابذة علماء القرنين: السادس عشر والسابع عشر، قد اطلعوا واقتبسوا وانتفعوا بأسلافهم من علماء القرون الوسطى.

وتعد جامعة بادوفا في إيطاليا - أكثر دولةٍ بعيدةٍ عن الحروب؛ لذلك كانت قابلةً لأن تكون فيها حركة علمية، وتجمع فيها أكثر الفلاسفة- خلال القرن الثالث عشر، من المصادر التي حركت العقل الغربي لقضية التفكير المنطقي، الذي أدى إلى شيءٍ من النهضة. ويعد فرانسيس بيكون - من القرن السابع

عشر –، وروجر بيكون – من العصور الوسطى– كلاهما من مؤسسي المنهجية التجريبية، **وقد كانت هناك بوادر نهضةٍ علميةٍ في القرون: الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، لكنها انتهت بالفشل.**

٣) الآثار الجانبية لعصر النهضة: كان عصر النهضة **عصرًا أدبيًا وإنسانيًا وثقافيًا، لا عصر علومٍ وتجاربٍ**، وتم خلاله ضرب المصدر الأساسي، والسلطة المعرفية المسيطرة على العلوم، وهي **الكنيسة**؛ فصار هناك **انزياحٌ عن هذا المركز، وبحثٌ في فضاءٍ معرفيٍ إنسانيٍ لا يسيطر عليه هذا المركز.**

٤) الحروب الدينية: من أسباب تعجيل الانزياح عن مركزية الدين؛ لأنها نتجت عن الإصلاح الديني الذي كان مبشّرا بشيءٍ من الخلاص والتجديد؛ فكان نتيجة ذلك حربًا دينيةً استمرت ثلاثين عامًا.

الوقت الذي انزاحت فيه أوروبا عن مركزية الكنيسة وبدأت تبحث فيه عن مصادر جديدة وبديلة؛ كان عصر النهضة مصدره: العلوم اليونانية القديمة، **وفي آخر القرن السابع عشر بدأ انبثاق مسارين رئيسيين، تشكلت على أثرهما أوروبا الحديثة،** وخاضت بهما إلى عصر التنوير (القرن الثامن عشر) **هما: مسار العلم التجريبي والمسار الفلسفي – العلم التجريبي لم ينشأ أبدًا في فضاءٍ مستقلٍّ عن الفضاء الفلسفي–**؛ لتنزاح في القرن الثامن عشر إلى المسار الفلسفي، ثم إلى العلم التجريبي في القرن التاسع عشر .

كان **في التيار الفلسفي** ديكارت، وجون لوك، وتوماس هوبس، وسبينوزا، وكان بين فلسفتهم عدة فروق: فديكارت كان يرى ان الانسان يولد **وفيه المبادئ العقلية الأولية،** أما جون لوك يرى عكس ذلك **بأن الانسان يولد صفحةً بيضاء** ليس عنده مبادئ عقلية، ولكنه يكتسبها من الحواس. لذلك **فديكارت هو أبو المذهب العقلي،** أما **جون لوك أبو المذهب الحسي.** أما **تيار العلم التجريبي** فكان فيه غاليليو وإسحاق نيوتن.

أبرز الشخصيات العلمية:

١) كوبر نيكوس

٢) كبلر

٣) غاليليو

٤) إسحاق نيوتن

٥) براهي

- كان المسار الفلسفي في عصر النهضة يتسم بأنه: **إنسانيٌ أدبيٌ ثقافيٌ، وليس فلسفيًا، باستثناء ميكافيللي** كأبرز فيلسوف سياسي في عصر النهضة؛ ومن أبرز ما اشتهر به: (الغاية تبرر الوسيلة- النفعية- البرغماتية- ترسيخ الاستبداد)، وكتابه: (الأمير) من أبرز الكتب المؤثرة في السياق التاريخي. وطرح الطيب أبو عزة سؤالا في كتابه: (نقد الليبرالية) عن سبب جَعْل ميكافيللي واحدًا من مؤسسي الليبرالية؟ وأن فلسفته متناغمةً مع التحول الحداثي الذي ستشهده أوروبا، ووصفه بأنه أول منظِّرٍ سياسيٍ ليبراليٍ، والمشهور عنه: الدعوة للاستبداد **فأجاب:**

١) أولًا: اختلافه على أن الليبرالية هي مذهب حريةٍ مطلقةٍ، وقد جعله أحد مؤسسي الليبرالية؛ لأنه دعا إلى فصل السياسة عن الأخلاق.

٢) ثانيًا: أنه لا يتفق على أن دعوة ميكافيللي دعوة للاستبداد. فالمشكلة في نظره أن الناس قرأت كتاب (الأمير) ولم تقرأ كتاب (أحاديثٌ عن المقالات العشر)، ولن تكتمل الرؤية إلا بقراءة الكتابين؛ لأنه في الثاني يؤيد الحكم الجمهوري، والأول يؤيد الحكم الاستبدادي، والاختلاف صار بينهما؛ لأن كل كتابٍ كان متعلقًا بسياقٍ تاريخيٍ معينٍ كان يمر به. والمشكلة الثانية: **كثرة القراءات والشروح، التي صارت حاجزًا بين الناس وبين قراءة ميكافيللي نفسه**؛ وذلك موجودٌ بين الشخصيات المشهورة، حيث تؤخذ الفكرة عنهم عن طريق الشروحات التي تكلمت عنهم.

عصر المنهج: القرن السابع عشر.

١) القرن السابع عشر جاء بعلومه وفلسفاته **فسلخ الإنسان عن الطبيعة الفيزيائية، جاعلًا منها آلةً،** وجاعلًا من الإنسان شيئًا آخر مختلفًا عنها، وكان فصل الطبيعة عن العقل جديدًا كل الجدة وثوريًا بالنسبة للفكر الغربي.

٢) التصور عن الكون كان في النظرة الحديثة مبنيًّا على: أن كل شيءٍ يمكن تفسيره، والكون يسير بآلةٍ ميكانيكيةٍ واضحةٍ، وترسخت هذه النظرة بقوةٍ مع نيوتن، وفي مرحلةٍ متأخرةٍ صارت النظرة نوعًا من اللامفهومية والاتساع اللانهائي؛ وهذا دفعهم للتوسع الزائد في العلم وصولًا إلى عصر التنوير.

٣) نظر الغرب إلى رجال الكنيسة وكأنهم أغبياء، ومنشغلون بما هو جامدٌ ومتحجرٌ، أما اليوم فهم غارقون في هذا الأمر.

المحاضرة الثالثة: عصر المنهاج.

عناصر المحاضرة:

١) إطلالةٌ عامةٌ على القرن السابع عشر.

٢) السياقات المؤثرة فكريًّا:

٣) السياق الفلسفي ورموزه.

٤) السياق العلمي التجريبي ورموزه.

٥) السياق الديني ورموزه.

٦) السياق السياسي ورموزه.

٧) تأثيرات القرن السابع عشر على ما بعده.

العنصر الأول: إطلالة عامة على القرن السابع عشر.

يقع القرن السابع عشر في السياق الفكري: **بين عصري النهضة والتنوير**، فهو عبارة عن **عصرٍ وسيطٍ فكريًّا**.

أبرز اختلافات القرن:

١) أُسِّست فيه أصول النظريات الكبرى.

٢) يختلف عمَّا بعده، حيث لم تنضج فيه الآثار العملية الكبرى.

٣) إزاحة المركزية: مِن العِلم إلى الدِّين.

- **كانت تقع القوة الفكرية للقرن السابع عشر في:**
- فرنسا –انتقل إليها من إيطاليا–.
- هولندا.
- إنجلترا –في أواخره–.

كتب تلخص ذلك العصر:

١) كتاب (المبادئ الرياضية في الفلسفة الطبيعية) لإسحاق نيوتن.

٢) مقالة في الذهن البشري لجون لوك.

تقسيم القرن السابع عشر بشكل عام:

١) القسم الأول: كانت المركزية الأولى فيه لديكارت

٢) القسم الثاني: نيوتن، وجون لوك

العنصر الثاني: السياقات المؤثرة فكريًا في القرن السابع عشر:

وهي على النحو التالي:

١) السياق الفلسفي.

٢) سياق العلم التجريبي.

٣) السياق الديني.

٤) السياق السياسي.

أولًا: السياق الفلسفي.

أسست في القرن السابع عشر الأصول الفكرية التي قام عليها الفكر الحديث. يتمحور دور الفلسفة في ذلك العصر: حول التنظير لِنظرياتٍ أزاحت المركزيَّة مِن الدين إلى العلم الطبيعي.

أبرز الفلاسفة في القرن السابع عشر:

١) فرانسيس بيكون.

٢) ديكارت.

٣) جون لوك.

٤) سبينوزا.

٥) توماس هوبز.

٦) لايبنتز.

فرانسيس بيكون:

- عاش في الثلث الأول مِن القرن السابع عشر، وتوفي في عام ١٦٢٦م.

- أحدَثَ ثورةً في المنهجية التجريبية.

- لُقِّبَ: بأرسطو العلم الحديث، وأمين سرِّ الطبيعة، وبالقائد القومي للنهضة العلمية والصناعية.

- دعا إلى اعتماد المنهج الاستقرائي، بدلًا عن الاستنباط السائد في الفلسفة الأرسطية.

- نَقَد المنطق الأرسطي.

- وجَّه النقد للاهوتيين والكلاميين والإنسانيين.

ديكارت:

- يرى أن الإنسان يولد ومعه المبادئ العقلية، بخلاف چون لوك الذي يرى أن الإنسان يولد صفحةً بيضاءَ، ويُكَون معرفته بالتجارب. وقد أُخِذَ لاحِقًا برأي جون لوك على حِساب ديكارت.

- يرى أهمية التجربة، ولكن لم يتميز فيها.

- يُمَثل الثورة العقلية.

- تميز علميًا في الرياضيات.

- تميز في إعادة إحياء المنهجية العقلية، وإعادة مركزية العقل.

– لغته سهلةٌ؛ وهذا ما تميز به فلاسفة القرن السابع عشر.

– من تأثيرات ديكارت على السياق الديني: الشكُّ والفصل بين العلم والدين.

– ملاحظة: في أواخر القرن التاسع عشر سقطت مركزية العقل في الفكر الغربي؛ بسبب الضربات التي وُجِهَت له مِن قِبَل كانط وديفيد هيوم... إلى أن تمَّ إلغاء العقل بصفة نهائية.

جون لوك:

– قيمته في السياق الغربي كبيرةٌ جدًّا.

– أول من أَلّفَ في نظرية المعرفة، وإن كان قد تكلَّم فيها علماء قبله، لكن يُعدُّ أنه أوَّل من كتب عنها مؤلَّفًا كاملًا مستقلًّا.

– اشتغل في الحقل المتعلق بنظرية المعرفة، والحقل السياسي.

– يصنَّف في الاتجاه الحسي التجريبي.

– لم يكن ملحدًا، بل كان مؤمنًا بوجود الله، وكان مؤمنًا بالدين النصراني، مع أنه وجَّه انتقاداتٍ لموضوع الدين.

– في السياق السياسي كان يُلقَّب بأنه: زعيم الليبرالية؛ وهو مَن أسَّس لها.

– نَظَّر بشكلٍ واضحٍ لحُكم الأكثرية، بشرط أن يتم استبعاد كل ما له علاقة بالدين والماورائيات – الميتافيزيقا–.

توماس هوبز:

- اشتهر بنقد الكتاب المقدس؛ فقد نقده من جهة الثبوت والتفسير.

- تبنى وحدة الوجود.

- يهوديٌّ هولنديٌّ، كان مُحارَبًا مِن اليهود، ووُصِفَ بالإلحاد.

سبينوزا:

- يُمثل التيار المادي.

- وُصِف بأنه أعظم فيلسوفٍ ماديّ في العصور الحديثة.

- وجَّه نقدًا شديدًا للدين.

- أصبح رمزًا للإلحاد، مع أنه ليس مُتفَقٌ على كونه ملحدًا؛ ذلك لأن كلمة الإلحاد في القرن السابع عشر لم تكن تدلُّ بالضرورة على إنكار وجود الله.

ثانيًا: السياق العلمي التجريبي.

- اتفق مذهب لوك مع مذهب نيوتن على تدعيم وتطويل المنهج التجريبي، وعلى زيادة رأس مال العلوم العلمية.

- بدأ العلم التجريبي يتخلل السياقات غير التجريبية.

أبرز الشخصيات العِلمية في القرن السابع عشر:

١) نيوتن:

- أرسى النظرة الآلية للكون.
- نقد بعض العقائد المنحرفة في الدين النصراني.
- دافع عن الدين بشكلٍ قويٍّ.
- كان آخر عالِمٍ يُدخِل الغيبيات في القوانين الطبيعية.

٢) غاليليو.

٣) كيبلر.

● فائدة:

- **النظرية الآلية للكون**: أنَّ الكون يسير وفق نظامٍ ميكانيكيٍّ آليٍّ محكمٍ، لكن أحيانًا يحدُث بعض الشذوذ في هذه الميكانيكية فيتدخل الله! **تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا**. بينما كانت النظرة السائدة عن الكون -كما كتب عنها كيبلر-: أن هناك ملائكةً يُمسكون بالكواكب ويدفعونها لكي تتحرك**!**

- النتيجة: أدَّى اكتشاف الآلية والقوانين التي تسير عليها الكواكب إلى زعزعة تلك النظرة السائدة.

● الآثار غير المباشرة:

١) تناقص المؤثر الديني بسبب أشياءَ كثيرة مثل: النقد المباشر، والحروب الدينية، والنظريات العلمية التي تخالفه... ذلك كلُّه يُنقِص من قيمة المؤثِّر الديني.

٢) المؤثر الآخر: زيادة المكتَشفات العلمية، واكتشاف أشياء جديدة بقوانينها وتفسيراتها.

ثالثًا: السياق الديني.

١) كانت الكنيسة مسيطرةً من حيث المنع والمعاقبة.

٢) لم تنته سلطة الكنيسة في القرن السابع عشر: ففي السياق الإنجليزي بدأت الكنيسة تفقد سيطرتها بطريقةٍ ناعمةٍ تدريجيًا، أما في فرنسا فظلت الكنيسة متماسكة رغم كل التغيرات، إلى أن حدثت الثورة الفرنسية.

٣) بداية ظهور المذهب الربوبي والإلحاد.

٤) اشتهار الجدل الديني.

المؤثرات في قضية نقد الدين:

١) اشتداد المذهب المادي.

٢) حضور المذهب الشكي.

٣) النقد العالي للكتاب المقدس.

٤) تجاوزات الفلاسفة للمؤمنين.

رابعًا: السياق السياسي.

- ظهور القول بالحق الطبيعي في السلطة، مقابل الحق الإلهي.

- يقول الطيب بوعزّة: "إن كتاب: (المقالتان في الحكم المدني) لجون لوك سيُصبح -بتعبير جان جاك شوفالييه- التوراة السياسية للقرن الجديد".

- ظلَّ فِكر جون لوك أساسًا مرجِعيًّا في الفلسفة السياسية الليبرالية في أوروبا.

العنصر الأخير: تأثيرات القرن السابع عشر على ما بعده:

- من المهم أن نجمع هذه الصور الجزئية التي كانت في القرن السابع عشر، ونضم معها تأثيرات عصر النهضة.

- أصبح الإنسان الأوروبي ينظر نظرةً مختلفةً للكون والوجود، بل وأكثر مِن ذلك، فقد صار يطلب البديل عن الدِّين!

- الأساس الذي قامت عليه الكثير من الأفكار في القرن الثامن عشر كان مصدرها: فلاسفة القرن السابع عشر.

المحاضرة الرابعة: عصر التنوير.

مقدمة:

علاقة القرن السابع عشر بالقرن الثامن عشر: هو أنه تم في القرن السابع عشر تأسيس نظريات فلسفية، استمر تأثيرها في القرن الثامن عشر، وصارت هناك تطبيقات عملية لبعضها، ومن أبرز فلاسفة القرن السابع عشر، الذين كان لهم حضور قوي في القرن الثامن عشر: جون لوك ونيوتن، كما أن المؤرِّخين لا يفتؤون حين يذكرون ڤولتير –الذي هو من أهمِّ الخلاصات في القرن الثامن عشر– أنه كان متأثرًا تأثرًا كبيرًا بجون لوك ونيوتن.

العنصر الأول: سمات القرن الثامن عشر.

١) مركزية حركة التنوير: نشأت حركة التنوير وتمركزت في القرن الثامن عشر، وكانت من أبرز السمات الفكرية في ذلك القرن.

٢) تمجيد العقل ومركزيته في التوصل للحقائق في النصف الأول من القرن الثامن عشر، العقل كان ممجَّدًا مُعظَّمًا، باعتباره الموصل المغني عن غيره من الموصِّلات للحقائق.

٣) شيوع روح النقد: وكانت سمةً بارزةً تمامًا، حتى استُجْوبَت كلَّ نظرية وكل عقيدة وكل رأي موروث!

٤) انتشار السخرية والهجاء.

٥) ترسيخ الدنيوية ومركزيتها، وتهميش دور الدين، كان عصر تحويل الفكر إلى فكر دنيوي، وتضاءل الدين، ليكون فرعًا من فروع الحياة، كما وصفه: سترومبرج.

٦) تنامي مذهب الدين الطبيعي –التيار الربوبي–: والذي يعترف بوجود الخالق وينكر الأديان والنبوات.

٧) التفاؤل: وكان سمةً بارزةً جدًا، كما قال سترومبرج: "تلك هي خلاصة القرن الثامن عشر، الذين اعتقدوا بأن فجرًا جديدًا بدأ يُشرق على الجنس البشري، وأن نوره هو الحسُّ السليم، والحقيقة البسيطة الواضحة."

٨) التسامح.

٩) روح التقدم والسيطرة على الطبيعة؛ صار هناك ولع بفكرة التقدم.

١٠) نقد العقل في النصف الثاني من القرن، ومن أثاره: سقوط الدين الربوبي في نهاية القرن.

١١) النزعة الشكية القويَّة في النصف الثاني من القرن.

١٢) تنامي جذور الإلحاد الصريح في أواخر القرن.

العنصر الثاني: حركة التنوير.

حركة التنوير هي حركة سيطرت على القرن الثامن عشر، كان من أبرز سماتها: الاعتماد على العقل، والتوسل بالعقل للوصول إلى الحقائق. كان من أبرز سماتها أيضًا: نقد الدين ونقد رجال الكنيسة. احتوى هذا التيار التنويريُّ في بطنه وفي داخله: المذهب الربوبي، يكفي لإدراك مركزية هذه الحركة أن العصرَ كاملًا وُصف بأنه: عصر التنوير، وكان ذلك في نفس العصر، وسماه كانط: عصر النقد، ويسمى أيضًا: عصر العقل والسعادة، قال كانط: "إن الأنوار: هي خروج الإنسان من القصور من عدم الرُّشد الذي سبَّبه لنفسه بنفسه، القصور: هو إعاقة عدم استعمال المرء لعقله دون قيادة شخص آخر، وتسبيب شيءٍ للذات بالذات هو القصور، عندما لا يكمن سبب هذا الأخير في ضعفٍ بالعقل، بل في غياب قرار، وشجاعة استعمال العقل الذاتي دون قيادة شخص آخر. **إن شعار الأنوار هو: لتكن لك الشجاعة لاستعمال عقلك الذاتي الخاص**". ولدت الحركة في إنجلترا مع جون لوك وغيره، وبلغت ذروتها مع فولتير في فرنسا، فولتير اختصر عصر التنوير؛ لأنه ربوبي ويمثل النموذج التنويري.

العنصر الثالث: التيار الربوبي والإلحادي ومسألة نقد الدين في القرن الثامن عشر.

لما كان من سمات هذا العصر النقد بشكل عام، والنقد الساخر بشكل خاصٍّ، وكان العقلُ مركزًا؛ كان على الدين –الذي كان مهيمنًا في السابق– أن يتلقى الضربات منهما، وكانت المناظرات هي الصورة العملية البارزة لذلك، وكانت سمةً بارزةً في كل مكان حتى في المقاهي!، وقد ساعد جو الحرية في إنجلترا على انتشارها فيها، أكثر من انتشارها في فرنسا، وقد أصبح نقدُ رجال الدين والسخريةُ منهم سمةً بارزةً في ذلك العصر، وكان له أثرٌ كبير من التنظير الفلسفي في تقويض الدين وإبعاد الناس عنه.

اتخذ المذهب الربوبي في فرنسا انعطافًا أشد من الانعطاف الذي اتخذه في بريطانيا؛ لأن الإكليروس –رجال الدين– في فرنسا كانوا جزءًا من الطبقة الحاكمة، وكانت المناظرات في فرنسا أشد ضراوة منها في بريطانيا، ومع ذلك فقد بقي المذهب الربوبي حيًّا في فولتير وديدرو، وأصبح جزءًا متكاملًا من حركة الفلاسفة العظماء في فرنسا.

جاء نقّاد آخرون نقدوا العقل الذي نُقد به الدين في النصف الثاني من القرن، وكانت ضرباتهم أقوى من ضربات أولئك؛ بحيث إن العقل ما استطاع أن يصمد، ولم يعد ممكنًا إثبات الدين بالعقل، وإنما الذي بقي هو إثباته عن طريق الحاجة الضرورية للأخلاق والإحساس ونحوه، وبشكل عام: فإن الاتجاه إلى المشاعر هو من سمات القرن التالي، وقد سقط الدين الربوبي بنقد العقل؛ لأن إثباته كان مستندًا عليه.

- **تعرضت الديانات الطبيعية للنقد والهجوم من فئتين:**

الأولى: الربوبيون والماديون. **والثانية**: **الأرثوذوكس**، الكتب الثلاثة الكبيرة والقاطعة ضد الديانة الطبيعية كتبها: **هيوم وهولباخ وكانط**، أما **هيوم** فقد كان مثالًا للرَّيْبِيَّة –الشكيَّة–، وكان **هولباخ** مادِّيًا مؤمنًا بماديته، وعلى جانبٍ كبير من الاعتقاد بالحلولية، وكان يمثِّل التيار الإلحادي. ووضع كانط في تلخيصه

(الحملة العقلية على اللاهوت العقلي)، الأسس لجميع محاولات القرن التاسع عشر في بناء الدين على الشعور، والحدس، ونوع من الحسّ الديني الخاص.

العنصر الرابع: السياق الفلسفي في القرن الثامن عشر وأبرز اتجاهاته ورواده.

- رموزه:

كانط، جان جاك روسو، ديفيد هيوم، جون لوك، مونتسكيو، فولتير، هولباخ.

أبرز الاتجاهات الفلسفية في القرن الثامن عشر:

١) **الاتجاه السياسي**: ومن أبرز منظِّريه: جان جاك روسُّو، في كتابه: (العقد الاجتماعي)، ومونتسكيو في أكثر من كتاب، أبرزها: كتاب (روح الشرائع) أو (روح القوانين).

٢) **الاتجاه المادي (الحسي)**: من أبرز متبنِّيه: توماس هوبز، وهولباخ، ويمكن أن يعد هيوم حسيًا كذلك، وقد اشتد هذا المذهب خلال هذا القرن وكانت له دولة.

العنصر الخامس: فولتير.

يقول فيكتور هيجو: "إن اسم فولتير يصف القرن كله، فإذا كان لإيطاليا نهضة، ولألمانيا إصلاح؛ فإن لفرنسا فولتير". فولتير كاتب مسرحي، ومناظر، وفيلسوف يعتنق الربوبية –الدين الطبيعي–، تأثَّر فولتير بالحرية الإنجليزية التي تجلَّت في أجمل صورها –على حد تعبير المؤلف سترومبرج– في مناظرات الربوبية، لكن تأثُّره بتعاليم نيوتن وجون لوك كان أشد من ذلك، أول مبحث صدر له كان في عام ١٧١٣م عن (قضية الشر).

فولتير ممن انتصر لوجود الله انتصارًا قويًا، واستدلَّ بالأدلة المعروفة على وجود الله –الدليل المتعلق بالوجود أو الحدوث، والدليل المتعلق بالعناية أو هندسة الكون– وظلَّ متمسكًا بهذا الإيمان بوجود الله،

تمسُّكًا شديدًا إلى أن توفي، في المرحلة التي تجاوزه فيها معظم المفكِّرين الفرنسيين إلى الرِيْبيَّة والإلحاد، وقد كان له نصيبٌ في معاداة الدين النصراني ورجال الدين، وكذلك حتى الدين الإسلامي.

وُصف فولتير بأنه معشوق المجتمع الباريسي، قال عنه سترومبرج: "جاء انعطاف فولتير إلى الحياة الفلسفية المتمثلة بنشر رسائله الفلسفية في عام ١٧٣٣م، بمثابة تدشينٍ رسمي لانطلاق عصر التنوير".

وقد كان فولتير ناقدًا للحكومة الفرنسية؛ لتخلفها عن بريطانيا في السَّماح بممارسة الحرِّيات العامة، غير أن السُّلطات في القرن الثامن عشر لم تكن ترغب في اضطهاد الأدباء ورجال الفكر، على أنه أيضًا لحقه شيء من السجن وما إلى ذلك.

كان فولتير -وعامة الفلاسفة- في بداية عصر التنوير ينزعون إلى المغالاة في التفاؤل، ولكن بعد تقدمه في السن أتخذ مسارًا شديدَ الكآبة والظلام، وذلك لموت محظيته، وفتور صداقته مع فريدريك الكبير، وحرب السبعة أعوام، وزلزال لشبونة عام ١٧٥٥م.

العنصر السادس: ديدرو وموسوعة دائرة المعارف الفرنسية:

هذه الموسوعة من أخطر ما تم تأليفه وإصداره في القرن الثامن عشر على الإطلاق، عدد الكُتَّاب الذين كتبوا في هذه الموسوعة: ١٢٠ كاتبًا، كتب فيها أغلب المشهورين من الفلاسفة، والمفكرين، والكُتاب الذين كانوا في تلك المرحلة، وهذه الموسوعة نظرًا لمركزيتها وُصِفت بأنها: الممثل الأبرز لعصر التنوير! ودُوِّن فيها خلاصة ما تم من إنتاج الفكر الأوروبي قبل ذلك، لكنها لم تكن تأخذ حريتها الكبيرة في نقد الدين؛ لأنها كانت في فرنسا وكان لا يزال النظام الديني حاكمًا، وأُوقفت سنتين أو ثلاث سنوات لهذا السبب. وُصفت هذه الموسوعة بأنها: ثورة قبل الثورة الفرنسية.

يقول سترومبرج عن الموسوعة الفرنسية: "قد لاقت من الرَّواج ما عرفته مجلدات كتاب: (التاريخ الطبيعي) لبوفون، ومسرحيات فولتير...، اهتمَّت الموسوعة اهتمامًا شديدًا بالمواضيع العلمية، والرياضية التكنولوجية، الأمر المميَّز لعصر التنوير: **فولتير، مع أنه انضمَّ إلى الموسوعيين لكنه بقي متحفِّظًا**

تجاهم. علاقاته بديدرو لم تكن أبدًا وثيقة أو حميمة، أعار اسمه لعدد من المقالات الموسوعية، ويبدو أن حلفاءه كانوا يرهبون قلمه السامَّ، ولا يكنُّون له أية مودَّة أو حب، ولقد أصدر فيما بعد معجمه الفلسفي، **ولم يستمرَّ سلطان الفلاسفة طويلًا؛ إذ انهار بسبب منازعاتهم الداخليَّة**".

العنصر السابع: جان جاك روسو.

يقول سترومبرج: "لقد كان الهدف الرئيسي لفولتير وجماعته أن ينصِّبوا العقلَ ملكًا مطلق السلطان؛ ولهذا السبب كانوا يتطلّعون باحثين عن الطاغية المستبد المستنير؛ فهم يفضلون ديكتاتورية العقل على ديموقراطيَّة الجهلة!...، والحق أن القرن الثامن عشر كان قرن أرستقراطيَّة، وقد حافظ على طابعه الأرستقراطي حتى ذاك الانفجار المزلزل، انفجار الثورة الفرنسية ١٧٨٩م. وكان مثقَّفوه وسياسيوه وقادة مجتمعه يدلِّلون على أرستقراطيته في جميع وجوه نشاطاتهم...، **وكان ثمَّة فيلسوف واحد ضد جميع فلاسفة القرن الثامن عشر**، هو الذي شاهد المستقبل، مشيرًا إلى المذهب الرومانسي ومرهِصًا بالديموقراطية، وكان قدره أن يعيش غريبًا بين معاصريه مِن رجال الفكر والفلاسفة، وأعني بهذا الفيلسوف :**جان جاك روسو**.

هو أبُ الحركة الرومانسية كما قال رَسل: له شخصية متناقضة وهو في غاية الشاعرية." سترومبرج يقول: "نحن لا نبالغ إذ نقول إن كِتابَيْه: (العقد الاجتماعي)، (مبحث في أصل اللامساواة) كانا الرسالتين اللتين صدمتا العالم الأوروبي بشحناتهما الكهربائية؛ التي لم تشهد أوروبا مثيلًا لشدَّتهما منذ عهد المسيحيّة البدائية".

أصبح كتابه: (العقد الاجتماعي) دستورًا لقادة الثورة الفرنسية، ألَّف روايةً كانت البداية لتأسيس المذهب الرومانتيكي، وغدا روسو على إثرها مؤثرًا جدًا. حاول الفلاسفة الرجوع إلى ماضي جان جاك روسو؛ والسخرية منه والتهكم عليه وإسقاطه، ونجحوا في ذلك لكنهم عجزوا عن إزالة الأثر الذي أحدثه في نفوس القُرّاء، بواسطة كتبه التي كانت أكثر انتشارًا من الموسوعة، ومن مسرحيات فولتير نفسه.

العنصر الثامن: ديفيد هيوم.

رسل يقول: "إن نموَّ اللاعقل في غضون القرن التاسع عشر، وما جرى في القرن العشرين، **هو التتمة الطبيعية لهدم هيوم للتجريبية**، ولا منجاة لتجريبيّ من شكِّية هيوم. وأثبت هيوم أن النزعة التجريبية الخالصة ليست أساسًا كافيًا للعلم." مع هيوم بلغت الفلسفة التجريبية ذروتها في النزعة الشكية، أبرز كتاب لهيوم الذي شرح فيه كل هذه القضايا: (رسالة الطبيعة البشرية)، أنكر مبدأ السببية، ويرى هيوم أن الفلسفة هي الشك، وقد كان مذهبه وشكيته **من أبرز ما دفع العجلة إلى الإلحاد**. هيوم من أبرز من شكَّك في العلم التجريبي، ومن أبرز من شكَّك في الدين المسيحي.

كتب رسالة في إنكار المعجزات، وأنكرها بناءً على مجموعة من الأدلة والمعطيات التي عنده**!** يقول راندال: "قلَّ أن أفلت ذكي من الأذكياء في وقته، مِن أنْ يقع في الشك بسبب هذا الكتاب"!!، وكان لهذا الكتاب أثره، حتى في الفكر العربي في فترة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ فقد باتت مشكلة إنكار المعجزات وتفسيرها ماديًّا من أبرز المشكلات الفكرية في تلك الفترة.

تلخيص المحاضرة الخامسة: الثورة الفرنسية والرومانتيكية + كانط (أواخر القرن الثامن عشر).

عناصر المحاضرة:

١) الثورات الثلاث في نهايات عصر التنوير، ولمحة عن الثورة الصناعية والعلوم الاجتماعية في القرن الثامن عشر.

٢) الثورة الفرنسية.

٣) تداعيات الثورة الفرنسية وآثارها.

٤) الثورة الرومنسية وآثارها.

٥) الثورة الكانطية.

٦) محصل عصر التنوير وآثاره على ما بعده.

٧) لمحة عن القرن التاسع عشر.

٨) عصر نابليون وبداية الاستعمار.

٩) هيغل.

العنصر الأول: الثورات الثلاث في نهايات عصر التنوير، ولمحة عن الثورة الصناعية، والعلوم الاجتماعية في القرن الثامن عشر.

الثورة الصناعية:

شهدت أواخر القرن الثامن عشر ثلاث ثورات: الثورة الفرنسية، والرومنتيكية، والكانطية. ويمكن أن تُضاف إليها الثورة الصناعية.

كان للطبيعة أهميةٌ مركزيةٌ في ذلك الوقت، حيث كان الإنسان يثق بمُخرَجات العِلم الحديث، وقد أدَّى هذا الأمر إلى تقدُّم في الجانب الصناعي، وظهور بعض الإنجازات: كشيوع الكهرباء بين الناس، واكتشاف أنَّ البرق من كهرباء، واكتشاف تخزين الكهرباء، وصناعة النَّاس للقاطرات والآلات التجارية، كما أخذ بعضهم بإطلاق المناطيد في الأجواء. وفي المجمل يمكن القول أنَّ هذا العصر لم يكن عصر منتجات صناعية كبرى، بقدر ما كان زاحفًا نحو المنتجات الصناعية الكبرى، والتي كانت في القرن التاسع عشر.

العلوم الاجتماعية:

تتفرع العلوم الاجتماعية إلى عدة فروع، فمنها الاقتصاد، والتاريخ، وعلم النفس وغير ذلك. هذه العلوم تمايزت عن بعضها في القرن التاسع عشر، في حين أنها كانت في القرن الثامن عشر مجرد أشياءٍ أُسِّس لها في كلام فولتير، وجان جاك روسو وغيرهم. على أنَّ أكثر عِلْمين اشتُهرا في القرن الثامن عشر كانا: الاقتصاد والسياسة.

علم الاقتصاد:

مرَّ علم الاقتصاد بثلاث مراحل:

١) **المرحلة الأولى:** والتي تبدأ من القرن السادس عشر، وقد أُطلق عليها لقب مرحلة المذهب التجاري، وهو لقبٌ أُطلِق على الكتابات الاقتصادية المتفرقة، التي لا تتقيد بنظريةٍ معينةٍ، وقد كانت من نهاية عصر النهضة، إلى بداية عصر التَّنوير.

٢) **المرحلة الثانية:** وهي مرحلة تيار الفيزيوقراطيين. حيث يُعدُّ مِن أكبر التيارات المؤسسة للنظرية الليبرالية، وأول ثورة حقيقية حدثت في الجانب الاقتصادي. وهو تيارٌ يؤمن بمبدأ الحرية الاقتصادية ويُعظِّمها، ويرى أن الزراعة المصدر الأساسيَّ للثروة، ويُعادي الصناعة والتجارة؛ على اعتبار أنَّهما لا يعودان بفائضٍ مادي. وقد وافق آدم سميث هذا التيار في بعض الجوانب، وخالفه في أخرى، حيث كان يُعْلِي من قيمة العمل على حساب قيمة الأرض.

- وقد تميَّزت هذه المرحلة مع هذا التيار: بمركزية الحرية، وإبعاد الرقابة والتدخل.

- وأمَّا السبب الذي جعل هذا التيار يحتل تلك المكانة القوية فهو: الأزمة الاقتصادية التي كانت في فرنسا، ومهاجمته للنظام القديم، واقتراحه بعض الإصلاحات الكاسحة.

- ومن تلك الإصلاحات، إلحاحه على ضرورة تمتُّع النشاط الاقتصادي بالحرية الكاملة، وعلى أن كل نشاطٍ اقتصاديٍّ لا بد أن يكون مرتَكِزًا على حق الفرد في الملكية الخاصة، في مجتمع يُؤَمِّن المنافسة الحرة. ومن الإصلاحات مطالبته بإسقاط الضرائب عن كل شيءٍ إلا الأرض.

- وبالرغم من كل ذلك، ومن كون هذا التيار قد دخل التاريخ بوصْفِه مؤسِّس العلوم الاقتصادية الحديثة، إلا أنَّ القرن التاسع قد ألقى به في زوايا النسيان، حيث إنّه لم يصمد أمام نظريات آدم سميث -إنجلترا- والثورة الصناعية؛ لأنّه كان يعتمد على الأرض، وآدم والثورة قد نقلوا الثّقَل من الأرض إلى المال والتجارة والصناعة.

- وتَجُدر الإشارة هنا إلى أن آدم سميث كان في إنجلترا، وهذا المذهب في فرنسا.

● **تأثر الفيزيوقراطيين:**

١. بكتابات مونتيسكيو، خاصةً بكتابه: (روح القوانين والشرائع).

٢. بمذهب اللَّذة اليوناني القديم، الذي ينصُّ على: أن الخير في جلب منفعةٍ ولذةٍ، والشر في جلب الألم! ولهذا كان شعارهم: أن تحصل على أكبر قدرٍ من السعادة، بأقل ثمن، فهذا هو الكمال في السلوك الاقتصادي.

٣) المرحلة الثالثة: وهي مرحلة آدم سميث، والذي يُعَد أعظم المنظِّرين الاقتصاديين في القرن الثامن عشر. وقد ألف كتابًا مدرسيًا مرجعيًا في الاقتصاد السياسي، يتناول فيه كافة الظواهر الاقتصادية، حتى غدَا كتابه في مرتبة روح الشرائع، والعقد الاجتماعي، وقد عُدَّ هذان الكتابان مع ثروة الأمم: أهم ثلاثة كتب في القرن الثامن عشر.

- ولعلَّ أبرز ما يميز هذه الكتب؛ أنها تمحْوَرت حول الإنسان باعتباره كائنًا مستقلًّا له حقوق، بخلاف الكتب السابقة التي كانت تُغفِل الحديث عنه، وتتحدث عن أمور متعلقةٍ بالمجال الديني أو الفلسفي المحض.

- لم يتميز علم الاجتماع كعلمٍ قويٍ ومستقل في القرن الثامن عشر، إنما كان بدايات.
- الدراسات التاريخية كان لها حضورٌ في ذلك الوقت، فقد كتب فيها بعض الكُتَّاب، مثل: فولتير، وبعض الفلاسفة، ولعل أهم كتاب أُلِّف فيها: (انهيار الإمبراطورية الرومانية). والنقطة المركزية التي تَمَحْوَرت حولها هذه الدراسات: الاقتناع بمبدأ التقدم التاريخي، وهو: أنَّ الإنسان يظل يتطوَّر إلى أن يصل إلى حالة من الكمال الدنيوي! وبالتالي بعضهم وصف الدراسات التاريخية بأنها نقلت اهتمام الإنسان من التقدم إلى السماء إلى التقدم نحو الأرض.
- يمكن التمثيل لتاريخ الفكر الغربي: بإنسانٍ يحاول استخراج الماء من باطن الأرض -عصر النهضة- ، لكنّه لا يملك الأدوات، وبدأ اهتمامه بأن يُخرِج الماء لنفسه هو بدل أن تخرجها الكنيسة له. ثم جاء القرن السابع عشر ليعطيه الأدوات -نظريات ديكارت وجون لوك-، حتى استطاع إخراجه أخيرًا في

القرن الثامن عشر. وفي القرن التاسع عشر بدأ بحفر الأخاديد ليتفرع منها هذا الماء في طريق معين – إشارة إلى تمايز العلوم عن بعضها–.

العنصر الثاني: الثورة الفرنسية.

– وصف تودوروف الثورة الفرنسية في كتابه: (روح الأنوار) بأنّها: المنعطف الكبير الذي يعتبر مسؤولًا أكثر من غيره، وهو الذي يشكل هويَّتنا التي نحن عليها الآن.

– وهنا تجد الإشارة أنَّ الثورة الفرنسية لم تُسهِم في تشكيل الهويَّة بشكل مباشر، حيث إنها لم تأت بمفاهيمَ تفصيليةٍ حول الهوية، إنما كانت بآثارها وتداعياتها، من أكبر المنعطفات التاريخية التي شكّلت هويَّة ما بعدها.

– إذا كانت العصور الماضية، كعصر النهضة، والقرن السابع عشر، وعصر التنوير، قد أسهموا في إبعاد الإنسان الغربي عن الدين، فإن الثورة الفرنسية جاءت لتقطع كلَّ ما بقي من العلائق، وذلك في سياق سيطرة الكنيسة والدين، ودخول الأخير في الحياة الاجتماعية.

– ومن هنا يمكن القول: إن الحياة الإنسانية بعد الثورة الفرنسية تختلف تمامًا عما كانت قبلها، خصوصًا أن من أسباب الثورة الفرنسية: سيطرة الدين، التي كانت مرتبطةً بالسيطرة السياسية.

– وقد كانت الثورة الفرنسية –بالإضافة لكونها خاتِمَة لقضية الدين والسياق القديم– خاتِمَةً أيضًا لحقبة فلاسفة التنوير. هذا الأمر جعل اختلافًا فارقًا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

- **أسباب الثورة الفرنسية:**

من أبرز أسباب الثورة الفرنسية:

١) الأزمة الاقتصادية.

٢) كتابات فلاسفة التنوير.

٣) رجال الدين.

٤) الثورة الأمريكية.

٥) الأزمات السياسية.

٦) الطبقية.

٧) التهيئة الفكرية التي كانت خلال قرن كامل، ولعل هذا أبرز الأسباب.

يُضاف إلى ذلك: أن مركزية الإنسان في القرن الثامن عشر؛ أدت إلى اختلاف ردَّة فعله حول المحفِّزات. فالأمور التي كانت موجودة مسبقًا مثل الحروب، والأزمة الاقتصادية، لم يعد الإنسان يتعاطَى معها بنفس الطريقة التي كانت من قبل. وتفسير ذلك: أنّها كانت بحاجةٍ إلى محلٍ قابلٍ حتى يتحرك، وهذا المحل كان معطَّلًا، فجاء عصر التنوير وغيَّر ذلك، وجعل هذا الإنسان قابلًا لأن يندلع.

يرى البعض أن فلاسفة التنوير لم يتدخلوا بشكل مباشر في الثورة الفرنسية، لكن الذي نراه: أنَّهم كانوا يهيئون الإنسان فكريًا لهذه المرحلة. أو بعبارة أخرى يمكننا أن نقول: أنَّهم وفَّروا الإعداد الأيديولوجي للثَّورة، وهدموا العوائق القائمة أمامها، ثم لما أتى المحفِّز الاقتصادي والسياسي لقيامها، كان الإنسان جاهزًا لها.

وبالرغم من الآثار الدموية للثورة الفرنسية، فإنّ الفلاسفة لم يدْعوا لها لأجل هذا السبب، لكنهم حين أزاحوا الدِّين وجعلوه على الحياد، لم يجدوا رادِعًا يضبط غرائز البشر، وأفعالهم. حتى القانون الذي وُضع حينذاك لم يكن قادرًا على ضبطها؛ لأنّه كان عامًّا بحيث يستطيع كل إنسانٍ أن يفسِّره على هواه.!

- **أحداث الثورة الفرنسية:**

قبل الثورة عُقِد اجتماعٌ على مستوى الأمة الفرنسية، على أساس أن يكون فيها ممثِّلون من جميع طبقات المجتمع، لكنها خرجت بنتائج غير مُرضِيَة. كما اشتدَّت الأزمة الاقتصادية في آخر سنتين قبل الثورة.

اندلعت الثورة، مع أول حدث عملي للثوَّار، حيث أسقطوا سجن الباستيل، ليحققوا بذلك أمرين: إسقاط رمزية الظلم المتمثلة فيه، وأخذ البارود والسلاح منه، حيث كان مستودعًا لهما.

– ومن الأحداث المهمة حينها:

١) إلغاء الملكية، وإعلان الجمهورية عام ١٨٩٢م، أي بعد الثورة بثلاث سنوات.

٢) سُجِنَ لويس السادس عشر في ١٨٩٢م، وقد أُعدِم في يناير ١٨٩٣م.

٣) إعدام ملك فرنسا وزوجته، ومناصريه. مع الإشارة إلى أن عددًا من الأنصار هرب من فرنسا، محاولًا التفكير في ثورة مضادة.

– وقد نادت الثورة بأمور ثلاثة:

١) سيادة الشعب.

٢) حق الشعب في تقرير مصيره.

٣) تضخُّم فكرة القومية، وهي أكبر الآثار.

وقد تضخَّمت في هذه الأثناء أيضًا: مركزية الدولة، حيث انتقل مركز القوة من الكنيسة إلى الدولة.

العنصر الثالث: تداعيات الثورة الفرنسية.

للثورة الفرنسية آثارٌ كبيرة، ولعل آثارها غير المباشرة أكبر مِن المباشرة.

وتُعتبر الثورة الرومنسية، واحدة من آثار الثورة الفرنسية، بالإضافة لكونها من آثار عصر التنوير. وقد يَعتبر البعض أن جون جاك روسو من مؤسسي هذه المرحلة، لكن الصواب أنُّه من أسبابها، أو أنُّه المحفِّز الفعلي لها.

العنصر الرابع: الثورة الرومانتيكية، أو الرومنسية.

تضاربت الآراء في تعريف الرومنسية، وقد بدا ذلك واضحًا من خلال كلام الكتَّاب.

إنَّ عقل الإنسان في عصر التنوير كان يتميز بنمطٍ من الجدية الميكانيكية الآلية، حيث كان يستحضر صورة الكون عند نيوتن، والذي كان يقول: بأنَّ الكواكب تسير بشكل آلي دون أن يصطدم أحدها بالآخر. وقد انعكست هذه الصورة على بقية العلوم، فأصبحت لها قوانين محددةٌ تفسيريةٌ واضحةٌ.

وفي عصر التنوير لم يكن هناك قيمةٌ للمشاعر والعواطف، إنَّما للمنفعة التي يحقِّقها الشيء، وهذا جعله أبعد عن الدين من الرومنسية التي كانت تلقي بالًا لمسألة العواطف. وبالتالي فإنَّ الرومنسية أعادت شيئًا من الاعتبار لمسألة الدين، فنشأت في ظلها بعض التيارات الدينية.

وقد كان المجال الشعوري، والعاطفي، والحّدسِي، هو المجال المهيَّأ لاحتضان الدين، بعد أن ضُرِب العقل.

وقد كان المذهب الرومنسي، ردة فعل مضادة على عصر التنوير؛ إذ جاء مناهِضًا للعقلانيَّة، والماديَّة الميكانيكيَّة، والكلاسيكيَّة، ولجميع المكوَّنات الرئيسيَّة لعصر التنوير.

كانت نقطة الضعف الرئيسية في عصر التنوير تتمثل في: إهمال هذا العصر للخيال، وفي استقطابه للعالم الخارجي، وافتقاره لكل شيءٍ باطنٍي أو عميق الجمالية، وإغفال العواطف الدينية، وتجاهل سر الوجود ورُعبه. وكل ذلك رغبةً منه في جعل كل شيء مفهوماً وواضحاً.

- **تمثل المذهب الرومنسي في:**

١) إعادة مكانة الشعر: فقد كان للشعر مكانته الكبيرة في هذا العصر.
٢) الاستعاضة بالمعايير الجمالية عن المعايير النفْعية.
٣) تفضيل كل غريبٍ في الإنتاج الروائي، كالأشباح والقصور القديمة.

أطول عمر للرومنسية هو ما بين ١٧٦٠م إلى ١٨٤٠م، وهي وإن انتهت –كسمة بارزةٍ للعصر– **فإننا اليوم لا نزال نعيش بعضًا منها، كالمبالغة في تقديس المشاعر، وجعلها المعيار، وقياس ردات الفعل.**

ويمكن القول: إنَّ الفنَّ، والأدب، والفلسفة، والسياسة قد تأثروا تأثرًا إيجابيًا وسلبيًا بالرومنسية.

العنصر الخامس: الثورة الكانطية.

كانط فيلسوف ألماني، عاش في أواخر الثامن عشر، وأوائل التاسع عشر، كان مُؤثِّرًا كبيرًا في باب الإيمان، حيث كانت أفكاره تُوصِل إلى الإلحاد رغم أنَّه لم يكن ملحدًا.

وُلِد عام ١٧٢٤م، في بروسيا، نشأ مع أم متدينةٍ جدًا، وهذا أدى إلى أمرين فيما بعد: اعتزال الكنيسة في شبابه، والعودة إلى التدين في شيبه. كان منظّمًا جدًا، منضبطًا في وقته، كثير التفكير، عَمِل محاضِرًا في الجامعة، وألّف كتابًا يتضمن نظرياته في التعليم.

- **فلسفة كانط:**

يُعتبر كانط فيلسوفًا كبيرًا، حاول الجمع بين منهج ديكارت: الذي يقرُّ بالمعارف الأولية، وبين منهج جان لوك: الذي يرى أنَّ الإنسان يُولد صفحةً بيضاء. فذهب كانط إلى: أنَّ الحِس ليس مستقلًّا عن العقل، وكذلك العكس. فالإنسان يُولد مع معارفٍ تُرتِّبُ له المدخلات الحِسية، وفي الوقت نفسه فإن هذه المدخلات هي التي ترسم حدود ما يمكن للعقل أن يعمل فيه.

فالَّذي لا تصل إليه الموارد الحسيَّة لا يشتغل فيه العقل، والموارد الحسيَّة وحدها لا تعطي صورةً حقيقيَّة، أو تعطي نتائج حقيقية طالما أنَّ العقل لا يرتِّبها ويضعها في قوالب.

وقد بلغ من تأثير فلسفة كانط: أنَّ السؤال عن وجود الله أصبح سؤالًا صعبًا منذ أن ظهرت.

- **تُجمع الأساسات الكانطية في أمرين:**

١) **الأولى:** أنَّ المعرفة البشرية محصورةٌ تمامًا في الظواهر الزمكانية –الزمان والمكان–، المشكِّلة لموضوعات العلوم الفيزيائية والرياضية.

٢) **الثانية:** أن الميتافيزيقا التي تدَّعي معرفة المطلق اللامشروط، وهْمٌ أحدثه العقل.

ويمكن القول إن محصل عصر التنوير، يمكن أن نستشفه من خلال آراء الفلاسفة الذين كانوا يستشرفون ما يمكن أن يصل إليه المجتمع الغربي من التفكك والانحلال.

المحاضرة السادسة: القرن التاسع عشر ١

موضوع المحاضرة سيدور حول تاريخ الفكر الغربي في القرن التاسع عشر ولن يتم استيفاء جميع ما فيه في هذه المحاضرة وستكون التتمة في المحاضرة القادمة.

العنصر الأول: تقسيم القرن التاسع عشر.

يقسم سترومبرج القرن التاسع عشر إلى ثلاثة أقسام:

١) أولًا: صباح هذا القرن؛

ويمتد من عام ١٧٨٩م إلى عام ١٨٣٢م ولربما حتى ١٨٤٨م –العام الذي كانت فيه ثورات الشعوب الأوروبية–.

– **سماته:** الحروب والاضطرابات في الميدان السياسي، وثورة فكرية وأخلاقية جديدة. وهو عصر رومانتيكي على المستوى الثقافي والأدبي، ومن ناحية الملامح الفكرية العامة، وعصر ثوري على المستوى السياسي.

– **رموزه:** الشعراء الرومانسيين، ومن أبرزهم من الناحية الفلسفية: هيجل.

٢) ثانيًا: ظُهرُ هذا القرن؛ وذلك في منتصفه:

– **سماته:** "كانت مرحلة استقرار وخروج من الفوضى، ومرحلة تَطلُّع للجديد والبحث عن مناهج جديدة؛ ولذلك من أشهر المناهج في القرن التاسع عشر: هو ما يُعرف بالوضعية المنطقية، فقد بات الناس يبحثون عن مناهج تضمن لهم التقدم نحو الأفضل، مع تجاوز المشكلات، والحروب آثارها". كما يصفه سترومبرج.

– **رموزه:** أوغست كونت، كارل ماركس، تشارلز داروン، جون ستيوارت مل.

ثالثاً: غروب هذا القرن؛

ويمتد من ١٨٨٥م حتى ١٩١٤ م، الذي هو تاريخ بداية الحرب العالمية الأولى.

– **سماته:** "كانت مرحلة خصبة، جاءت بغلّة موفورة من المفكرين المدهشين بعمق أفكارهم، حيث أخذوا يَرِدون ميادين من الفكر لم يعرفها البشر قبل ذلك، ويسبرون أغوارًا مرعبة لم يعرفها البشر من قبل. كما أنها مرحلة حملت معها التجهم والغموض إلى أن رجفت الراجفة بأوروبا" أي: الحرب العالمية الأولى

– **رموزه:** نيتشه، فرويد، برغسون، ماكس فيبر.

يقول سترومبرج: "النصف الأول من القرن التاسع عشر كان أشد وأغزر الأزمان ثورية في التاريخ" فقد اجتمعت فيه؛ أولًا: آثار الثورة الفرنسية، ثانيًا: حرب نابليون، ثالثًا: الثورة الشعبية التي حصلت في منتصف القرن.

العنصر الثاني: أبرز الأحداث الفكرية والسياسية.

في القرن التاسع عشر:

أولًا؛ حروب نابليون، ثانيًا: الثورة الرومانسية، ثالثًا: التحولات الاجتماعية والطبقية، رابعًا: ثورة علم ١٨٤٨م، خامسًا: الثورة الداروينية، سادسًا: الثورة الصناعية، سابعًا: النزعة العلموية، ثامنًا: القومية، تاسعًا: الاستعمار، عاشرًا: الاشتراكية، أحدَ عشر: الديمقراطية.

أولًا: حروب نابليون.

- **نبذة عن نابليون:**

دخل نابليون السلك العسكري مبكراً؛ لذكائه وقدرته العسكرية. ترقى في مناصب عسكرية حتى رتبة عسكرية، عالية في زمن يسير. كان له دور في بعض الأحداث ما بعد الثورة الفرنسية، الأمر الذي أكسبه شعبية إلى أن أصبح أحد الضباط الكبار جداً، أو أحد الممثلين للحكومة الفرنسية. قبل أن يذهب إلى مصر خاض حرباً ضد إيطاليا، وخاض حروبًا ضد النمسا، نشأ عنها المعاهدة التي ضمت إلى فرنسا مزيدًا من الأراضي، مما أكسبه مزيدًا من الشعبية داخل فرنسا. كان موقف نابليون يعتبر موقفًا إيجابيًا من الدين بالنسبة للسياق الفرنسي، مع تقييد سلطات الكنيسة ومع التدخل.

كانت لنابليون حملةٌ إلى مصر، ومن الأسباب التي جعلته يذهب إلى مصر: الصراع مع بريطانيا، والرغبة في مزيد من الاكتشافات ونهب الثروات ومزيد من السيطرة على الشعوب.

الحملة على مصر كانت عام ١٧٩٨م، بقي نابليون في مصر أربع سنوات، لكنه هُزم أمام المقاومة المصرية بفضل الله. بعد خروجه منها توجه إلى الشام في عكَّا، ثم عاد إلى فرنسا وخاض مجموعةً مِن أقوى الحروب التي خاضها ضد خصومه التقليديين، وهم بريطانيا، وروسيا، وبروسيا، والنمسا، وانتصر عليهم انتصارات كبيرة جدًا، ضم مِن خلالها مساحات هائلة من أوروبا إلى فرنسا، وانتصاراته الكبرى كانت على بريطانيا وبروسيا والنمسا.

أول ضربة قوية وُجهت لنابليون في حروبه مع روسيا: هي البرد والثلج، وانقطاع المؤونة، وانتشار المرض وما إلى ذلك. ثم اجتمع الحلفاء عليه -وهم خصومه التقليديون- في الحرب التي سُمِّيت: (معركة الأمم وهُزِم فيها نابليون هزيمةً نكراء، وقُتل فيها أعداد هائلة من الناس، وأُسِر فيها نابليون، ونفي إلى جزيرة تبعُد أقربُ يابسةٍ منها: ألفا كيلو متر -تقع بين أفريقيا والبرازيل-، وذلك من عام ١٨١٥م إلى وفاته عام ١٨٢٢م.

• الآثار التي نشأت عن حروب نابليون:

أوروبا بعد الحروب النابليونية كانت في حالة تبحث فيها عن شيء جديد، يعوضها عمَّا كانت عليه قبل الثورة، وعمَّا كانت تُمنِّي نفسها به قبل الثورة ولم يتحقق. يقول سترومبرج واصفًا ذلك: "هدم نابليون النظامين القديمين، في كُلٍّ مِن ألمانيا وإيطاليا، ونشر البدع والتجاديد الكاسحة في كل مكان وطئته سنابك جحافله، والآن بعد هزيمة الثورة وقائدها العظيم: هل أصبح بالإمكان أن تعود أوروبا إلى النظام القديم، وتعتَبِر جميع الأحداث بعد عام ١٧٨٩ كأنها لم تقع وتحدث؟ حتى أشد الرجعيين تطرفًا لم يكن يخطر في باله أن أوروبا سترجع إلى ذلك النظام. وإذا لم يعد بإمكان أوروبا أو الناس أن يعودوا إلى النظام القديم؛ فما الذي ينتظرهم مستقبلًا؟ وهكذا وجدت الناس في أوروبا قاطبة يشعرون بالحاجة إلى سبر الأغوار، واستكشاف المجاهيل، بغية إيجاد نوع من اتجاه وخط سير؛ فأوروبا بدت يومذاك كأنها تندفع إلى هوةٍ من خواءٍ فاغرٍ فاهُ. أوروبا القديمة ماتت، وهذا واقع لا ريب فيه. وعشرةُ قرون من مدنية طواها التاريخ صفحاتٍ وسطورًا، وقد فشلت أوروبا الجديدة أخلاقًا وجسدًا، ابتداء بحكم الإرهاب، ومرورًا بالانقلاب البوناپارتي، وانتهاءً بهزيمة نابليون بعد حروب طويلة ومرعبة".

من الآثار التي ظهرت بعد حروب نابليون كذلك: ظهور القوميات في أوروبا.

ثانيًا: الثورة الرومانسية.

تم تناوُلها في اللقاء السابق

ثالثًا: التحولات الاجتماعية الطبقية:

الطبقات في المجتمع الغربي آنذاك كانت كالآتي:

- الطبقة العليا: هي الأرستقراطية، وهؤلاء يأخذون شرفهم بالوراثة.
- الطبقة الوسطى: هي طبقة التجار، والصناعيين، والمهنيين، وهي الطبقة البرجوازية.
- الطبقة الثالثة: هم الكادحون، مثل عُمَّال المصانع والمزارعين.

في أوروبا عبر القرون السابقة كانت الطبقة الأساسية والتي تملك كل شيء: هي الطبقة الأرستقراطية. بعد الثورة الفرنسية ضُربت هذه الطبقة ضربة قوية، وبدأ صعود الطبقة الوسطى في القرن التاسع عشر، شيئًا فشيئًا حتى صارت هي الطبقة الحاكمة والمسيطرة. نتيجة لصعودها وسيطرتها وأخذها مكان الطبقة الأرستقراطية؛ ثارت عليها الطبقة التي تقع دونها، خاصة وأنها كانت تتصف بالتجبر والطغيان، وعدم اعتبار حقوق العمال.

رابعًا: ثورة عام ١٨٤٨م.

سترومبرج يقول: "الحقيقة التاريخية تلزمنا بالاعتراف بأنه في عام ١٨٤٨ كان المطلع أو -إن لم نقل- البشير بالانتصار المطلق للديمقراطية والاشتراكية معًا. ففي أعقاب هذا العام سيطر هذان المذهبان على أوروبا. فالنظريات التي ولدت وترعرعت ما بين عامي ١٨١٥ و١٨٤٨ هي هذه النظريات، أو بالأحرى الأيديولوجيتان السياسيتان والاجتماعيتان، اللتان أصبحتا منذ ذلك الحين المذهبين الأساسيين بالنسبة إلى العالم الغربي"

كذلك فإن من أخطر وأهم الأحداث التي تشترك فيها القضية العلمية والقضية الفكرية هو: ما أتى به داروِن في القرن التاسع عشر، من النظرية المعروفة بالنشوء والارتقاء. يقول رسل: "ما كانه جاليليو ونيوتن بالنسبة إلى القرن السابع عشر، كانه داروِن بالنسبة إلى القرن التاسع عشر"

الاستعمار:

"كانت المرحلة القومية مرحلةَ انطلاق المدنيَّة الغربية إلى غزو العالم، وإخضاع القارتين آسيا وإفريقيا؛ لسيطرة أوروبا العدوانية" كما يقول سترومبرج. وقد كان من أبرز أسباب نشأة الاستعمار: سياق المنافسة بين القوميات الأوروبية؛ لتحقيق الأمجاد والمكاسب. فقد ترسَّخت القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر، وبات التغنِّي والمفاخرة بالأمجاد القومية سمةً بارزة.

- **ومن أهم الأحداث الاستعمارية في تلك الفترة أنه في عام:**

- ١٧٩٨م استعمرت فرنسا مصر.

- ١٨٣٠م استعمرت فرنسا الجزائر.

- ١٨٥٨م استعمرت بريطانيا الهند.

- ١٨٨١م استعمرت فرنسا تونس.

- ١٨٨٢م استعمرت بريطانيا مصر.

- ١٩١١م استعمرت إيطاليا ليبيا.

- ١٩١٢م استعمرت فرنسا المغرب.

العنصر الثالث: أبرز الأعلام الفكرية والسياسية في القرن التاسع عشر.

هيجل، نيتشه، ماركس، داروين، برغسون، فرويد، فيورباخ –من أشهر الملحدين–، ماكس فيبر، دوركايم وهما من علماء الاجتماع.

العنصر الرابع: الاتجاهات الفكرية الكبرى في القرن التاسع عشر.

الاشتراكية، القومية، الإلحاد، الليبرالية، النزعة العلموية، الوضعية المنطقية –الفلسفة الوضعية–، وهي من أهم التيارات الفكرية في هذا القرن، اليسار الهيجلي، والذي كان من أبرز شخصياته: ماركس، ومن التيارات المؤثرة كذلك: أصحاب الدراسات الجديدة حول الدين، الذين كان أهمهم: تيار اليسار الهيجلي، ومن أبرزهم: ماركس؛ فقد تفرغوا لنقد الدين نقداً علمياً —حسب زعمهم–.

وقد تعارضت بعض المكتشفات، والنظريات العلمية الجديدة في هذا القرن مع الدين، بشكلٍ لم يسبق من قبلُ مثله، حتى قال الدكتور حسن الأسمري: "مسكينٌ هو العلم الذي يولد في قرن مثل هذا القرن، أو يتطور فيه. فالدولة التي ترعاه دولٌ علمانيةٌ ذات توجهٍ وضعيٍ، القيادات الفكرية: تميل إلى المادية،

أو الإلحاد، أو الوضعية، وتدَّعي أنها مذاهبُ علميةٌ، تُمْطِر المجتمع بشبهاتٍ، وأهواءٍ، لا مثيل لها، كيف سيكون حال العِلم في مثل هذه الأجواء المظلمة؟!".

العنصر الخامس: الدين والإلحاد في القرن التاسع عشر:

استعراض مختصر لمسيرة الدين ليتضح ما وصل له الناس في القرن التاسع عشر:

في الفترة من القرن الرابع ميلادي إلى القرن الرابع عشر ميلادي:

كانت الحالة الدينية هي: حالة **سيطرة الكنيسة سيطرة كاملة** على شؤون الحياة، والتصورات العامة والخاصة.

القرن الخامس عشر والسادس عشر (عصر النهضة):

لم تكن سمته الأساسية سمة دينية، وإنما كانت سمةً إنسانيةً، وكانت علاقة هذه الحركة الإنسانية أو عصر النهضة بالدين: **علاقةَ انتزاع المركز، وليس علاقة المصادمة والمضادة التامة**.

القرن السابع عشر:

في هذا القرن تأهل الإنسان الغربي ليبحث عمَّا يُغنيه **بالتوازي** مع الدين. ففي النصف الأول من القرن: أتى ديكارت بالمنهج العقلي، فكان مسارًا موازيًا للدين. ثم صارت المنافسة أكبر، والمناهجُ التي يُراد بها الاستغناء عن الدين، تضخمت أكثر في النصف الثاني من القرن السابع عشر. وكان أبرز الأسماء في هذه المنازعة: جون لوك؛ مع أن رسالته لم تكن مضادة للدين. ففي هذا القرن: **تضخم المسار الموازي بكل اتجاهاته، واختلافاته، وفلاسفته، ومسارُ الدين قد تضاءل وانكمش، وصار ضعيفًا**.

القرن الثامن عشر:

في هذا القرن أصبح هناك **قالبان** يحتويان العديد من الاتجاهات **هما: قالبا: ١) التنوير ٢) والحداثة**. وهذه الاتجاهات في مجموعها منافسةٌ للدين، وفي نفس الوقت بدأت تعارضه. ولذلك نجد أن **سمة هذا العصر: هي الضرب في المقدسات الدينية**.

القرن التاسع عشر:

نستطيع أن نقول إنه وبعد زمن الثورة الرومانسية، **تضخم التيار الموازي والمعارض للدين، وأصبح في حالةٍ من القوة بحيث استطاع أن يكون هو المسيطر. وقطع ما بقي من متعلَّقات للدين ومن أسباب قوة.** نتج عن هذا الصراع: أن وُلُدَت العلومُ الاجتماعية والتجريبيةُ، ولادةً على مناقضةٍ وخصامٍ لددٍ مع الدين. **وقد ظهر الإلحاد لأول مرة في تاريخ أوروبا بصورة علنية في القرن التاسع عشر.**

يقول جيمس كولنز: "وقد شهد القرن التاسع عشر مولد مذهبٍ في الإلحاد، مذهبٍ كامل التكوين يرمي إلى استبعاد الله –تعالى الله– بلا قيدٍ ولا شرطٍ من معتقداتنا المتواضَع عليها. **وكان من النادر فيما سبق من عصورٍ أن يعتنق الإلحادَ علانيةً مفكرون بارزون؛ إذ كان يُنظر إليه على أنه موقفٌ هدَّام.** أما في خلال الفترة التي أعقبت هِيجِل، فقد اعتنقه جَهارًا نهارًا عددٌ من زعماء الفكر، الذين أضفَوا عليه نوعًا من التوقير الذهني، بل من التداول الشعبي أيضًا. **وقد نجحوا في هذا بأن ربطوا بين الإلحاد، وبين الاتجاهات الرئيسية في حياتنا العلمية، والثقافية، والأخلاقية.** وبدلًا من أن يبقى الإلحاد موقفًا سلبيًّا عقيمًا، **أضحى مقوِّمًا بنَّاءً من مقومات الاتجاه العلمي الإنساني في المجتمع الحديث.** ومن الجليِّ أن مثل هذا الانقلاب في الأوضاع، لم يكن من صُنع حفنةٍ قليلةٍ من الفلاسفة، بل إننا لَنجد داخل التراث الفلسفي نفسه تمهيداتٍ طويلةَ المدَّة للإلحاد؛ في بعض جوانب مذهب الشك، وعصر التنوير، وغيرهما من التيارات. ومع ذلك، فقد اقتضى الأمر إسهاماتٍ متخصصةٍ من طائفةٍ من الفلاسفة؛ لتفسير اتجاهات الميادين الأخرى، ووضع أساسٍ نظريٍ مفصَّلٍ للإلحاد".

أبرز التيارات الإلحادية في القرن التاسع عشر:

الماركسية، وشخصيات أخرى مثل: فيورباخ، ثم الوصول إلى نيتشه في ختام القرن التاسع عشر، الذي كان النتيجة الطبيعية لكل القرون السابقة.

العنصر السادس: العلم التجريبي في القرن التاسع عشر.

المجتمع الغربي منذ سقوط الدين والكنيسة ظل يبحث عن بديل. وحين يجد البديل في شيءٍ يثق به ويعطيه ثقله كاملًا، وفي القرن التاسع عشر كان هذا البديل: هو العلم التجريبي؛ فالثورة الصناعية تذكر الإنسان بأهمية العلم، وكانت المكتشفات العلمية ساخنة في تلك الفترة، وهذا بعد أن كان البديل في عصر التنوير: هو العقل. وكانت فكرة وجود قانون يفسر ظهورَ الأشياء ونشوئِها، مرتبطةً عندهم بأنها مناقضة للدين؛ قال دارون: "حتى الإنسان يُثبتُ العلم أنه يمكن أن يفسَّر تفسيرًا كاملًا، عن طريق العلم الطبيعي، والتجريبي، بدون الحاجة عن التكلم عن مكونٍ غيبي أو مكون إلهي"!!

مع نهاية القرن التاسع عشر، جاءت تجاربُ، أثبتت أن ما أتى به نيوتن –على الأقل بعض مضامينه– غيرُ صحيح. مثلًا: تجربة نيكسون مورلي، التي كانت دقيقة جدًّا، وقاموا بها ليثبتوا شيئًا من صحة ما جاء به نيوتن، وكانت النتيجة أنه غير صحيح؛ أحدثت هذه التجربة ثورةً، ونشأ على إثرها ما يسمى: **بنقد العلم**، إذ أصبحت هناك رموز فلسفية تنتقد العلم التجريبي، **إلى أن جاء أينشتاين، وأصبحت هناك إشكالات كبيرة في التسليم بالمخرجات العلمية السابقة.**

في رصد هذا الأثر يقول سترومبرج: "وصف الفيلسوف: أورتيجا جاسيت النظرية النسبية بأنها: أهم حدثٍ عقلِي في عصرنا الحديث. وهناك إجماعٌ على صحة قول جاسيت هذا، لكنَّ الناس كانوا أقل إجماعًا على السبب الذي يجعل النسبية على تلك الدرجة من الأهمية. **والحق أن تدمير الصورة النيوتنية للعالَم، والمألوفة لنا منذ عهدٍ طويلٍ، لا يمكن أن يكون إلا ثورة فكريةً عملاقةً مؤثرةً في كل ثقافةٍ وحضارةٍ**. وقد نجم عن تدمير تلك الصورة شيءٌ من التواضع: انتعشت الميتافيزيقا، وازداد الاهتمام

باللامعقول. لم يعد العلم شيئًا بسيطًا، لربما لم يعد يستند على المادية والميكانيكا. وقد كشف النقاب عن كونٍ غامضٍ، مقدَّرٍ لجزءٍ منه أن يبقى غامضًا. كما وقذَفَنا بأحجِياتٍ لا يستطيع العلم حل ألغازها داخل أعمق أعماق الحقيقة.! وهكذا أصبح العلماء أكثر تواضعًا، وأخذوا يتحدثون عن الكون الغامض، بدلًا من حديثهم عن التقدم نحو المعرفة الكاملة. وإن الرجل العادي قد يحني حتى اليوم رأسَه للعلم، ولكنه فقد قدرته على فهمه. **لقد كانت تسيطر على نظرة الإنسان الأوربي إلى العالم، منذ عهد نيوتن: صورةٌ لعالَمٍ ميكانيكي الطراز، مألوفٍ للخبرة البشرية. ولكن أصبح من العسير علينا الآن أن نستعمل أي طرازٍ كهذا...**"

كذلك فإنه بعد هذا التقدم من الجهة العلمية النظرية التي أتى بها أينشتاين، ودمَّر بها الصورة القديمة – وقبل أن يتم نظريتَه–، جاءت الحربان العالميتان، وجاءت نتيجة العلم: القنبلةُ الذرية، التي في لحظةٍ واحدةٍ دمرت ما دمرت، وكان لها تأثيرٌ في مزيدٍ من خيبة الأمل. فالعِلم الذي كان إلهًا في القرن التاسع عشر، والذي كان مؤمَّلًا فيه كل شيءٍ: سقط من ناحية الحالة التقديسية.

المحاضرة السابعة: القرن التاسع عشر ٢

أولاً: الشخصيات الفكرية والفلسفية في القرن ١٩.

هيجل:

يُذكَر في البداية باعتبار زمنٍ مُتقدِّمٍ وتأثيرٍ ممتدّ. تُوفِيَ سنة ١٨٣١م، وهو خليفة عميد الفلاسفة كانط، وأطول باعًا منه كواضع منهج مؤسس مذهبٍ.

- **استمداداته:**

١) كانط.

٢) الفيلسوف الألماني نيتشه.

- **من المتأثرين الكبار به:**

ماركس.

- **مدى تأثير فلسفته:**

١) **لاقت نجاحًا كبيرًا لا مثيل له،** حتَّى إنَّ المفكرين الفلسفيّين قاموا بنشرها في المجتمعات الأوروبية.

٢) نشأت عنه **مدرستان:**

١. اليمين الهيجلي: ذات نزعةٍ لاهوتيةٍ بروتستانتيًّا، ولم يكن له تأثيرٌ.

٢. اليسار الهيجلي: له تأثيرٌ متطرفٌ ضد الأديان، وناقدٌ على كل ما هو قديمٌ، ومن أهم شخصياته: شيتراوس، ماركس، فيورباخ.

- **سبب تأثير فلسفة هيجل رغم صعوبتها:**

كونها مذهبٌ كاملٌ، وفلسفةٌ شاملةٌ، وإذا كانت الفكرة شاملةٌ مهما كانت سخافتها فهي مؤثرةٌ؛ لأنَّها تهدم وتُوجِد البديل، وعليه يجب على المصلِح أن يأتي بمشاريعَ بديلةٍ بعد هدمه لكلِّ مُخالِف.

• شرح فلسفة هيجل:

الفكرة الأساسية هي **المُطلق الروحي**:

١) **الوجود كله فِكرٌ**، والمراد بالفكر العقل.

٢) **والفكر مُتَّصَفٌ بالوحدة**.

٣) إذا كان الفكر يرجع إلى الوحدة، فهو أيضًا **مُتصَّفٌ بالوحدة بين الأضداد**.

٤) والمطلق هو **الانسجام بين الأضداد**.

• قلب فلسفة هيجل:

أنَّ كل نفيٍ يتضمن الإثبات، وكل إثباتٍ يتضمن النفي.

من أخطر ما أتي به هيجل: فكرة التَّقدُّم؛ أنَّ الإنسان يسير في التاريخ نحو التَّقدُّم. وأبرز تطبيقٍ لفلسفة هيجل: كان في المجال التاريخي: **الجدلية التاريخية**، فالتاريخ البشري عند هيجل: **هو مطلقٌ يتصارع فيه الأضداد**.

• أطوار التاريخ عند هيجل:

١) **الطور الآسيوي**: المتميِّز بنظامٍ ملكيٍّ استبداديٍّ.

٢) **الطور الكلاسيكي الروماني اليوناني**: ويتميَّز بالحرية الفردية.

٣) **الطور الجِرماني الأوروبي**: الذي جمع بين الطورين السابقين في الحرية، داخل الدولة القومية.

داروين:

ليس فيلسوفًا، ولكن من أخطر الشخصيات التي مرَّت على المجتمع الغربي على الإطلاق؛ رغم أنَّه لم يأتِ بنظريةٍ علمية، إلا أن نظريته كانت من أشدِّ ما أثَّر في السياق الفلسفي الاجتماعي والإنساني!

أصدر كتاب: (أصل الأنواع)؛ وكان له تأثيرٌ عظيمٌ، وتأثَّر به نيتشه ومن ورائهم هتلر، وأُصِيبَ العالم من بعد إصدار الكتاب عام ١٨٥٩م بنقصٍ حقيقيٍّ في الإيمان!

• أثر نظرية التطور عند داروين:

١) اقتلاع الإيمان، وأصبح الدين عُرضَةً للهجوم الشديد، وأصبح الإلحاد أمرًا يدعمه العِلم!

٢) لا يوجد أي بديلٍ علميّ عن الاعتقاد بنظرية داروين إلا الإيمان.

٣) العالم يستقي معرفته من خلال التجربة فقط، وتوقَّف ذلك خلال القرون، فالغرب عندهم إشكالٌ في: فلسفة العلوم ونظرية المعرفة؛ فرسموا معالم مُحدَّدةً يستقي منها العالِم الطبيعي معرفته، وهي: التجربة فقط!

• النقودات العلمية لنظرية داروين:

كثيرة جدًّا وقويةً، مثل: كتاب: (نظرية التطور في أزمة) لستيفن ماير، وكتاب: (صندوق داروين الأسود) لمايكل بيهي. **داروين لم يكن ملحدًا بعد تأليف كتابه، بل كان شاكًّا لا أدريًّا**، ويقال: إنَّه ألحد بعد موت ابنه؛ بسبب مشكلة الشر.

"المجتمع الغربي كان مؤمنًا إيمانًا قطعيًّا بنظريات نيوتن، ولم يكن يتوقَّع أحدٌ في المجتمعات الغربية العلمية أنَّ نظريات نيوتن يمكن أن تُنقَض!، ثمَّ بات المجتمع العلمي اليوم يعتقد أنَّ نظريات نيوتن قد نُقِضَت بالفيزياء الحديثة، فيُمكن أيضًا لنظرية داروين المسيطرة والمعمَّمة، والتي يؤمن بها إيمانًا قطعيًّا في كل مجال أن يأتي يومٌ وتكون مُجرَّد تاريخ."

نيتشه:

قال عنه المسيري: "**لحظة ظهور نيتشه لحظةٌ تاريخيةٌ حاسمةٌ في الحضارة الغربية، فقد أعلن الفضيحة كاملةً في الآتي:**

١) إذا كان العالم مادةً؛ **فالمادة متحركةٌ ولا ثبات في العالم.**

٢) إذا كان العالم مُتحرِّكًا؛ **فلا مُطلقات وكل الأمور نسبيةٌ.**

٣) إذا كانت كل الأمور نسبيةً؛ **فكل الأمور متساويةٌ.**

٤) وإذا كانت كل الأمور متساويةً؛ **فلا معنى للحديث عن المعنى والأخلاق!"**

بمعنى: لا مجال للحديث عن مركزية الإنسان؛ لأنَّ كل الأمور متساويةٌ!، وأكبر إنجازاته أنَّه أنكر فكرة الكل، وإنَّما يوجد أجزاءٌ فقط!

المسيري: **"لو فرضنا أساسًا لفلسفة نيتشه، فهي إرادة القوة، بل إنَّ الفلسفة من بعد نيتشه هي فلسفةٌ نيتشاويَّةٌ"**.

ثانياً: إفلاس الإنسان الغربي:

– تأثَّر نيتشه كثيرًا بنظرية داروين وبسياسة بسمارك.

– كتاب نيتشه: (ما بعد الخير والشر) يهدف إلى تغيير رأي القارئ؛ فيثني على الشر ويشجب الخير، لم يتجرَّأ أحدٌ قبل نيتشه على مهاجمة الأخلاق بينما فعل نيتشه.

– أتى نيتشه بعبارة: موت الإله؛ يقصد موت المطلقات والدين.

– قال ميشيل فوكو في كتابه (الكلمات والأشياء): "وصل نيتشه إلى النقطة التي عندها يمتلك الإنسان الإله، وزوال الأول مرادفٌ لزوال الثاني" تعالى الله!

– ويقول: "ما يعلن عنه نيتشه ليس غياب الله أو موته هو المؤكد بقدر ما هو نهاية الإنسان"! وهذه حقيقةٌ مهمةٌ لما يصل إليه الإنسان حين يستغني عن الله؛ فبقدر ما ارتفعت المادية عند الإنسان الغربي، بقدر ما انحطَّ، وبقدر ما استغنى عن الله، وبقدر ما أراه الله نتيجة هذا الاستغناء.– وهذه حقيقة مهمة لما يصل إليه الإنسان حين يستغني عن الله.

– قال جان بول سارتر: "إنَّ الوجودية تقول: إنَّ عدم وجود الله معناه عدم وجود القيم المطلقة، وكذلك القول بوجود الخير أو بوجود الصدق والنزاهة قولٌ لا معنى له"، وقد قال أيضًا عن دوستويفسكي أنَّه قال: "إذا لم يكن الله موجودًا؛ فكل شيءٍ مباحٌ."! وما قاله هو النقطة التي تنطلق منها الوجودية.

– وإذا قلنا بذلك: إنكار وجود الله تعالى، يعني أن كل شيءٍ يصير فعلًّا مباحًا، وأنَّ الإنسان يصير وحيدًا، لا يجد ذاته أو خارجها أي إمكانية يتشبث بها!!

– من كتاب (الإنسان ذلك المجهول) لأليكسس كاريل: "إنَّ تحرير الإنسان من مذهب المادية، سوف يقلب أغلب حياتنا؛ فإنَّ المجتمع العصري سوف يُعارِض بكل قوته هذا التَّقدُّم في آرائنا"..

ثالثاً: الاشتراكية:

لم يتم تداولها قبل ثلاثينات القرن التاسع عشر، وأكثر حضور لها في فرنسا، ولم يكن لها منهجٌ ومذهبٌ واضحٌ؛ فقد كانت تفتقد إلى المحرِّر لها، وكانت موجودة بصورها المتعدِّدة؛ فكانت مُهدَّدةً بالزوال، إلى أن أتى **ماركس، وأصبح هو المُحرِّر لها، ونظَّمها وجمعها وجعلها مذهبًا واضحًا ومُؤثِّرًا فيما بعده**. لم يكن أمام ماركس إلا اللجوء إلى الفلسفة الألمانية، ولا سيَّما إلى أعظم فلاسفة الألمان: هيجل، حيث كانت فلسفته يومذاك في ربيع أزهارها.

رابعاً: الماركسية:

قام ماركس بالتوفيق بين: **شيوعية بابوث، مع مذهبية سان سيمون، مع نظريات أويل، واحتفل بزواجهم في كنيسة هيجل!**

طبقات حقبة التاريخ عند ماركس:

١) حقبة الشيوعية البدائية.

٢) حقبة المجتمع العبودي القديم.

٣) حقبة الإقطاع.

٤) حقبة الرأسمالية.

٥) حقبة الشيوعية.

- وصراع الطبقات عند ماركس ينتهي حين ينتصر البروليتاريا -طبقة العمال- على الرأسمالية.

- الإشكال فيه هي قضية الجَبْر والفرض، وأنَّ البشرية تسير ضمن قانونٍ تاريخيّ جبريٍّ حتميٍّ، والإنسان ليس إلا أداةً.

- يرى ماركس المجتمع والتاريخ: شرائعَ مفروضةً على مرِّ الزمان، ويرى أنَّ القوة الحافزة في التاريخ هي الصراع الطبقي.

- التيار المادي في الفكر الغربي هو تيارٌ متنوعُ الأشكال؛ فليس كل فيلسوفٍ ماديٍّ يملك نفس الفلسفة، مثال: اختلافات التيار الحسي.

تستند الفكرة الماركسية على:

١) مادية مأخوذة من فيورباخ.

٢) جدلية مأخوذة من هيجل.

٣) وأخرج من هذا المزيج ما يُسمَّى **بالمادية الجدلية**.

وفكرة الجدل قائمةٌ على فكرة التناقض، وفائدته أنَّه **هو الذي يعمل الحركة والتاريخ**.

قوانين المادية الجدلية:

١) تحول الكم إلى كيف.

٢) قانون وحدة الأضداد.

٣) قانون نفي النفي.

رموز الماركسية الكبار:

١) ماركس.

٢) أنجلز.

٣) ليلين.

٤) ستالين.

موقف الماركسية من الدين:

- ماركس صاحب جملة "الدين أفيون الشعوب".

- ماركس يجعل نقد الدين هو الشرط الأساسي المِمهِّد لكل نقدٍ.

- قال ليلين: "إنَّ الله فكرةٌ اختلقها الإنسان ليُبرِّر عجزه" تعالى الله.

- قال ستالين: "إنَّ مفهوم الدين خرافةٌ، والإلحاد هو مذهبنا".

- والموقف الماركسي هو موقفٌ في جوهره: موقف صراعٍ مع الدين، وعَداءٍ شديدٍ له، وتبنِّي الإلحاد كمذهبٍ وهذا هو جوهر الماركسية.

- أخيرًا: هذا كله ممَّا يُزيد الإنسان قناعةً ويقينًا في الإسلام؛ فالإنسان لا ينفكُّ عن كونه مُستنيرًا بأنوار الوحي.

النظرة التعظيمية للغرب، الانهزامية للعرب:

ما زال هناك مَن ينظر للغرب نظرةً تعظيميةً، ويجعلون الأخلاق على الهامش، هذا حسب المعيار الذي يُنظَر به إليها؛ فكلَّما زادت المادية التي قد تُأسلَم بفكرة عمارة الأرض = زادت النظرة التعظيمية.

لا ننكر إنجازات الغرب في مجالاتٍ شتَّى فـ"مَن زرع حصد"، ولكن هذا المعطَى وحده دون معايير أُخرى صحيحة تُحاكم إليها؛ فإنَّه تدمير! المشكلة الحقيقية: هي مشكلة معايير، **وكل مشروع يؤدي إلى إعادة ضبط المعايير عند المسلم، فهو من أهم المشاريع التي تحتاجها الأمَّة الإسلامية.**

قد يكون جزءٌ من الانهزامية مُحاولةَ إيجاد البديل من نفس الجنس؛ لأنَّك لن تستطيع أن تتجاوز ما يتقدَّمون فيه إلا بمنظومات كُبرى. وعليك أن تعرف أنَّك تمتلك ما هو أفضل منهم؛ المبادئ الصحيحة والمعنى الروحي.

المحاضرة الثامنة: القرن العشرون

العنصر الأول: الحداثة.

- بدأت جذورها تظهر في عصر النهضة.

- تمَثَّل انطلاقها بالابتعاد عن الدين، والتوجه نحو المناهج الجديدة.

- قال سترومبرج: "إن الغد ضروريٌّ للغاية؛ لفهم اليوم وإدراك معانيه؛ وهذا هو السبب كل السبب وراء كتابة التاريخ". ولهذا غالبًا يبدأ الوعي بالحداثة، أو أي تغييرٍ جديدٍ بعد انتهائه، وبداية تغييرٍ جديدٍ آخر.

- المفكر الحقيقي هو الذي يستطيع أن يفهم اليوم قبل أن ينصرم؛ ليتخذ الإجراءات المناسبة قبل أن ينتهي اليوم.

هناك فرق بين بداية الحداثة والوعي بالحداثة:

- هابرماس يفرِّق بين البداية الزمنية للحداثة، وبين الوعي بالحداثة؛ في رأيه: البداية قرابة عام ١٥٠٠، والوعي بها في القرن الثامن عشر –عصر التنوير–.

الحداثة سِمة لها معنى سلبي وإيجابي:

- الحداثة ليست مذهبًا فكريًّا، بل هي سِمَة.

- من السرديَّات الكبرى للحداثة: العقلانية، ومركزية الإنسان، والتفاؤل، والوصول إلى الحقائق، والإيمان بالتقدم.

- الطيب بوعزة يقول: "التأليه للعَقل هو جوهر الحداثة".

- مؤسس الفلسفة الحديثة هو: ديكارت، الذي يتبنى منهج العقل.

- لا يوجد تعريفٌ متفقٌ عليه للحداثة، ولكثيرٍ من العناصر اليوم؛ لأننا عندما نستوعب المعنى، نجد أن التعريف أحيانًا لم يستوعب المعنى الكافي للّفظ المعرّف.

العنصر الثاني: ما بعد الحداثة.

كلمة (ما بعد) لإفادة المعنى الزمني، وأيضًا التضاد؛ ضد السرديات الكبرى المبشرة التي تحملها الحداثة.

ما بعد الحداثة: **أسلوبٌ في الفكر يبدي ارتيابًا بالأفكار والتصورات الكلاسيكية؛ كفكرة: الحقيقة، والعقل، والهوية، والموضوعية، والتقدم، والسرديات الكبرى، وهي ترى العالم بخلاف عصر التنوير؛ عالمًا بعيدًا عن الحتمية القطعية.**

نموذج ما بعد الحداثة: التفكيكية.

- انتقالٌ من بحثٍ في المعنى إلى بحثٍ في الفهم (قراءاتٌ مختلفةٌ متجددةٌ عبر الزمن).

- يحتمل معاني لا نهائيةً من القرّاء، ومعاني لا تنتهي عبر مرِّ الزَّمان.

- قال فرويد: "ثلاث ضرباتٍ وجّهت للكرامة الإنسانية والنرجسية:

- كوبرنيكوس.

- داروِن.

- فرويد –حطَّم ما بقي من اعتبارٍ إنسانيّ–.

تاريخ مولد ما بعد الحداثة: ١٩٦٩م.

- **جذورها:**

١) نيتشه.

٢) بعضهم يُرجعها إلى كانط.

٣) بعضهم يرجعها لعام ١٩٦٩ مع كتاب: (ضد التفسير) لسوزان سونتاغ.

٤) بعضهم يعده تاريخ كتاب: (الوضع ما بعد الحداثي) لكاتبه ليوتار.

٥) العالم اليوم مع وجود العدمية واللامعنى، فيه فرصةٌ لإيجاد البديل؛ لأنه لا وجود لمعارضٍ له معنى.

العنصر الثالث: السياق العلمي التجريبي.

١) النصف الأول من القرن العشرين حدثت فيه تطوراتٌ علميةٌ ضخمةٌ، والنصف الثاني للمنتجات.

٢) النسبية، وثورة فيزياء الكم، وأينشتاين، وفشل نظرية الأثير؛ كانت ضربةً قويةً للإنسان الذي يُألِّه العِلم، ويُحيل الأخطاء العلمية الكبرى.

٣) الذي جاء به أينشتاين نسبية، وهي تؤيد بقوةٍ فكرة عدم المركزية وعدم الوثوقية.

٤) تأثير الفضاء العلمي التجريبي على الفكر والفلسفة الغربية، كان تأثيرًا كبيرًا جدًا.

٥) اكتشاف عالَم الذرة أيضًا أحدث هزةً كبيرةً في العلم التجريبي.

٦) "غدت كلمة (نسبي) تلوكها جميع الألسنة، وتتندر بها".

٧) مبدأ (اللاحتمية).

العنصر الرابع: العلوم الاجتماعية والإنسانية

١) القرن الثامن عشر: بدأت لها جذورٌ قوية.

٢) القرن التاسع عشر: أصبحت لها مناهج، وتأسست بعض العلوم الاجتماعية، وارتفع الاهتمام ببعض العلوم، مثل: التاريخ؛ الذي أصبح مركزيًا.

من الخطأ: فصل العلوم الاجتماعية والإنسانية -في فهمها وإدراك نشأتها- عن السياق الفكري الذي فيه المجتمع الغربي؛ لأنها ليست علومًا مجردةً تشتغل في فضاءٍ محايدٍ لا يتقاطع مع فضاء الدين، أو العلوم الأخرى.

دَرَس علم الاجتماع (الدين) في هذا العصر على أنه أحد الظواهر الاجتماعية والإنسانية!، بعيدًا عن كونه حقيقةً منفصلةً، ووحيًا إلهيًّا، وبالتالي يرسخ فكرة الابتعاد عن الدين والوحي!

العنصر الخامس: تأثيرات الحربين العالميتين.

- الحرب العالمية الأولى صفعت السياق الغربي، ولكنها لم تكن كافيةً في هدم ما مضى من الأيدلوجيات.

- الحرب العالمية الثانية فتَّتت وحطَّمت التطلعات التي حملها الإنسان في عصر التنوير؛ ففقدت النفوس الغربية الأمل، وكانت جاهزةً لأن تتبنَّى العبثية، والعدمية، واللامعنى، وأن تتبنى الذاتية والفردية.

- فلم يعد أحدٌ من الشباب يهتم بالأمور السياسية، ورفض معظمهم التراث الأوربي رفضًا تامًّا؛ فالخراب المادي كان ظاهرةً مأساويةً للخراب الذي نزل بالأخلاق.

- صدر شقيقُ ماكس ڤيبر بعد الحرب بعام كتابًا بعنوان: (وداعًا للتاريخ الأوروبي).

العنصر السادس: الوجودية.

- انتشرت بعد الحرب العالمية الثانية.

- **الوجودية**: هي رؤيةٌ تعظِّم من شأن الإنسان، وتلغي جميع المصادر التي ترسم للإنسان طريقه، مثل الدين. **فهي مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بالإلحاد**.

- سارتر: هو أحد الوجوديين الكبار، ويقول: "إن الوجودية هي محاولةٌ لاستخلاص النتائج من موقفٍ إلحاديٍّ ثابتٍ".

- إن دوستويفسكي كتب أنه: "إذا لم يكن الله موجودًا فكل شيء مباحٌ"! وما كتبه دوستويفسكي هو النقطة التي تنطلق منها الوجودية.

سبب انتشارها:

- وجود السياق التدميري بعد الحرب العالمية.

- التفت الإنسان الى نفسه بعد الحرب العالمية وألغى الأيدلوجيات التي تمده بالتصورات الكبرى الشمولية.

العنصر السابع: العلمانية/العَالمانية.

- العِلمانية بالكسر كلمة خاطئة.

- العَالمانية جذرها يعود إلى الزمن.

- العلمانية أشمل من العلم التجريبي.

- استعمل مصطلح سيكولار أول مرة عام ١٦٤٨م.

- جون هوليوك أول من استعمل هذا المصطلح.

العالمانية الشاملة والجزئية:

– **العَالمانية الشاملة**: هي فصل كل القيم الإنسانية، والأخلاقية، والدينية عن الطبيعة، وعن حياة الإنسان في جانبيها العام والخاص، بحيث تُنزع القداسة عن العالم، ويتحول إلى مادةٍ استعماليةٍ يمكن توظيفها لصالح الأقوى.

– **العَالمانية** –عند سامي عامري–: مبدأٌ يقوم على إنكار مرجعية الدين، أو سلطانه، في تنظيم شؤون الناس، بعضِها أو كلها، انطلاقًا من مرجعية الإنسان لإدراك الحقيقة والمنفعة الكاملتين في هذا العالم.

– ومن الخطأ تفسيرها بالتفسير الجزئي –فصل الدين عن الدولة–.

العنصر الثامن: الليبرالية

بدأت تُتداول في نهاية القرن التاسع عشر.

الفرق بين العَالمانية والليبرالية:

– **الليبرالية أخص من العَالمانية؛ فمن العالمانية: الرأسمالي، الماركسي، الليبرالي، وغيرها من التيارات.**

– **الليبرالية**: هي فلسفةٌ اقتصاديةٌ، وسياسيةٌ، ترتكز على أولوية الفرد بوصفه كائنًا حرًّا.

من الأمثلة على هذه الحرية:

– من الناحية الفكرية: حرية الاعتقاد، والتفكير، والتعبير.

– من الناحية الاقتصادية: حرية التملُّك، والفعل الاقتصادي.

– من الناحية السياسية: حرية التجمع، وتأسيس الأحزاب، واختيار السلطة.

– قولك إن الليبرالية هي فصل الدين عن السياسة، لا يكشف عن معنى الليبرالية؛ لأنها لها محدداتٌ غير الفصل؛ منها: الفردية –الحرية–، محددات اقتصادية وسياسية.

• المرتكزات الفلسفية لليبرالية:

قال الطيب بو عزة: لليبرالية **مرتكزاتٌ فلسفيةٌ ثلاثةٌ**، وهي:

١) الفصل بين السياسي والأخلاقي.

٢) الرؤية الذرية للوجود الاجتماعي.

٣) النزوع نحو تحرير الفرد المالك من استبداد السلطة السياسية المطلقة.

– الليبرالية لا تنطلق من تحرير الإنسان بوصفه إنسانًا؛ بل باعتباره مالكًا اقتصاديًا.

– الليبرالية تحتكر الحرية، وكأنها تقول: لكي تكون حرًّا لابد أن تكون ليبراليًا.

• أمثلة:

– إبادة الهنود الحمر: جاءت مقترنةً مع بداية انهيار النظام الإقطاعيّ.

– استعباد شعوب أفريقيا، واستعمارها، ونهبها، لم تكن صنعة الإقطاع، بل صَدَرت عن نظامٍ ليبراليٍّ رأسماليّ، وكان المسوغ التشريعي لهذا الاستعباد: صادرًا عن البرلمانات الليبرالية، الرافعة لشعار: الإخاء والحرية والمساواة!!

العنصر التاسع: أبرز رموز القرن العشرين

فرويد، ميشيل، سارتر، نيتشه، ديدرا، رسل، هيدجر.

فرويد: طبيبٌ له تأثيرٌ فلسفيٌّ كبيرٌ.

– ولد ١٨٥٦، وتوفي بسرطان الفم عام ١٩٣٩ نظرًا لشراهته بالتدخين.

- له أصولٌ يهوديةٌ، وهو ملحدٌ.

● بعض مبادئه ونظرياته:

- مبدأ اللاوعي واللاشعور -الإنسان: الهُوَ، والأنا، والأنا العليا-، تفسير الأحلام -بوابات العقل اللاواعي-.

- من يحرك الإنسان ليس عقله!

- الأطوار الجنسية عنده التي أدت للانحلال الجنسي، وتحرير الإنسان من الكبت والمحركات!

- نتج عن نظرياته انحلالٌ جنسيٌّ أخلاقيّ!

ميشيل فوكو:

- من أكبر فلاسفة القرن العشرين، من فلاسفة ما بعد الحداثة.

- كان معلنًا لشذوذه الجنسي، ومات الإيدز.

خلاصة السلسلة:

- الإنسان لا يمكن أن يستغني عن الله سبحانه وتعالى.

- هذا النموذج البشري المنحطّ هو آيةٌ من آيات الله، تُرسّخ عندنا إلى أين يمكن أن يصل انحطاط الإنسان عند ابتعاده عن الله وشريعته.

- هذه السلسلة عرضٌ لتاريخ الأفكار بشكلٍ عامٍّ فقط، وليست دروسَ فلسفةٍ؛ فهي عَرضةٌ نقديةٌ لتاريخ الفكر الغربي، من عصر النهضة إلى القرن العشرين.

- أهمية تمليك الجيل الصاعد، خاصةً قضية المعايير، فيما يُستجد من القضايا حتى يستطيع تقييمه بإذن الله.

- مِن أفضل ما يمكن أن يقدَّم في هذه المرحلة: إيجاد وصناعة البديل، وتمكين الناس منه.

والحمد لله رب العالمين.